قصة سيدنا إبراهيم

تصلح لكل الأعمار:

إن قصة سيدنا إبراهيم هي قصة مناسبة لكل الأعمار؛ لأن القرآن ذكر لنا فيها كل مراحل حياته، سنجده شاباً في السادسة عشرة من عمره، وسنرى ما هي أفعاله، وما هي اهتماماته، وكيف تصرَّف، ونذكر أنه حين ألقي في النار كان عمره ست عشرة سنة، ثم قصة زواجه من سارة وهاجر، وكيف كان يتصرف في فترة الشيخوخة وهو شيخ عجوز، وكيف كان يتعامل، هذه هي المراحل العمرية المختلفة التي مر بها سيدنا إبراهيم عليه السلام، فالقصة تخدم كل هذه المعاني.

الهدف الرئيسي:

ما هو هدف القصة؟

قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام لها أهداف خاصة، هدف قصص كل الأنبياء السابقين، وهي العبر والعظات التي تستفيد منها في حياتك، لكن مع سيدنا إبراهيم عليه السلام ليس الهدف منها فقط العبر والعظات، وإنما هناك هدف آخر وهو التقليد والاتباع؛ لأن سيدنا إبراهيم عليه السلام هو النبي الوحيد بعد سيدنا محمد ﷺ المطالب أنت أن تقلد خطواته وتتبعها، مثلاً: ماذا نستفيد من قصة صالح وهود؟ إنا نعرف ماذا فعل الله تبارك وتعالى، لكن في قصة إبراهيم سنقول أمراً آخراً، سنقول: قلد، وهنا نقول: اتبع، ولذلك انظر ماذا يقول لك القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: 68]، من أولى الناس بإبراهيم؟ من أكثر شخص مفروض عليه أن يكون متبعاً خطى إبراهيم؟ ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وأدخل ﷻ الذين آمنوا مع هذا النبيّ.

فضل إبراهيم عليه السلام:

خليل الرحمن:

سأبدأ بفضل سيدنا إبراهيم عليه السلام في القرآن وفي أحاديث النبيّ ﷺ.

obeikandl.com

أول شيء أنه أبو الأنبياء، ثم إنه خليل الرحمٰن.

فما معنى خليل الرحمٰن؟

هو الحب الذي تخلَّل الروح وصرف الجسد حتى أن الروح والجسد والقلب لا يستطيعون مفارقته، رضي الله سبحانه وتعالى عنه، فأصبح خليلاً للرحمٰن من شدة إرضائه له، فمعنى خليل الرحمٰن هل أنه يحب الله؟ فحب الله تخلَّل روح وقلب سيدنا إبراهيم عليه السلام فصار من شدة حبه لله أن الله اتخذه خليلاً.

يا إخوة، أنا لا أريد أن أمرَّ سريعاً على هذه النقطة: أين أنت من حب الله لك، وما مقدار حبك لله؟

أيها الأحبة، دعونا لا نتكلم كثيراً، أنا أحب الله جداً بقلبي ومتعلق بالله، انظروا معي كم من الأشخاص يردد هذا القول: أنا أكثر واحد فيكم أحب الله، ونسأل: أتصلي يا سيدي؟ فيرد: لا والله، أنا في الحقيقة منقطع عن الصلاة، لكن أحب الله جداً وهذا أمر بيني وبين الله، إذا سمعت هذا الكلام فاعلم أن هذا يقول كلاماً لا معنى له.

في الحقيقة يا إخوتي للوقوف على مسألة حب الله تبارك وتعالى والوصول لمنزلة خليل الرحمٰن، أقول لكم: تعالوا نرى منازل الناس في حب الله: أعلى درجة في منزلة الحب هي منزلة الخلة، أن تكون خليل الرحمٰن، هذه طبعاً منزلة سيدنا إبراهيم عليه السلام والنبيّ ﷺ، لكن باقي الخلق متفاوتون في الدرجات.

عذراً إليكم هذا المثل:

أنا سأذكر لك ما هي درجات حب الناس لله، وأريدك إما أن تفرح وتقول: أنا هذا، أو تشعر بالخيبة وتقول: يا للحسرة، أنا بعيد جداً، تعالوا نرى درجات الحب، لكن قبل أن أذكر لكم درجات الحب، سأضرب لكم مثلاً كيف يحب الناس بعضهم البعض في الدنيا، وللأسف سأضطر أن أضرب لكم مثلاً لا أحب أن أذكره، وهو: ما درجة حب شاب تعلق بفتاة؟ لماذا أقول مثل ذلك؟ حتى تقارن في عقلك الباطن، وتقول: أنا أحب امرأة بهذا الشكل، فكيف بحبي لله؟ وأنتِ تحبين شاباً بهذه الصورة، فكيف بحبك لله؟

للأسف أصبح أكبر مَثَل للحب في حياتنا حب الرجل والمرأة، مع أنه منذ عهد النبيّ ﷺ إلى القرن الذي نعيش فيه كان أكبر مثل للحب في حياة الأمة حب العبد لربه، انظروا كيف تغير الحب من عهد النبيّ ﷺ إلى القرن الذي نحن فيه؟ إذا أرادوا أن يضربوا

مثلاً تقريبياً للحب كانوا يضربون مثل حب العبد لله؛ لأن الأمة كلها كانت تحب الله، ولكي أصف لكم كيف يحب الإنسان ربه، سأعطي لكم مثلاً تقريبياً لأوضح لكم معنى خليل الرحمٰن، مضطر وللأسف أن أكلمكم كيف يتدرج حب الشاب للفتاة، كي يخجل كل منكم ويقول: أنا أحب فتاة بهذه الدرجة ولا أحب الله مثلها، وأنت تقولين: أنا أحب شاباً بهذا الشكل ولا أحب الله مثل حبي له!

مراحل انطلاق الحب:

المرحلة الأولى: التعلق القلبي:

أولى درجات انطلاق الحب في قلوب الرجال والنساء تعلق القلب بالمحبوب، فيبدأ السهر والتفكير، هو يفكر فيها وهي تفكر فيه، ولعلكم تسخرون من هذا الكلام، فعلاً هذا يحدث، ولكنه لا يحدث مع الله تماماً، هل سهرت يوماً تفكر في الله؟ هل سهرت يوماً تفكر في كيفية إرضائه ﷻ؟ أنا آسف مرة أخرى، فأنا مضطر أن أربط بين حب الله من جهة وحب الشباب والفتيات من جهة أخرى، لأنه ليس لدي أمثلة أوضح من ذلك، فيبدأ الأمر أنه يظل يفكر ويتخيل ويكون جالساً بمفرده ويجد نفسه يبتسم، هل حدث مرة أن أحدكم وهو جالس بمفرده وجد نفسه يبتسم لأجل الجنة؟ لكن يحدث أن يبتسم من يتخيل لحظة عاطفية لطيفة، هل ابتسم أحدكم وهو يتخيل أنه يقابل النبيّ ﷺ ويقبل عليه ويأخذه النبيّ ﷺ بين ذارعيه؟ ومن تظل الليالي ساهرةً تفكر لو قابلته ماذا سيحدث؟ ولا يخطر ببالها أبداً لو أنها وقفت بين يدي الله ماذا سيحدث، فتبدأ أول مرحلة بسهر وتفكير وقلب متعلق.

المرحلة الثانية: ميل القلب:

ثم يدخل على المرحلة الثانية وهي ميل القلب، يبدأ القلب يميل جداً، ليس مجرد تعلق وإنما ميل شديد لدرجة أنك تبدأ تقارن بين مراد نفسك ومراد الحبيب، أليس كذلك؟ أنا مزاجي كذا لكن من أحبها ما هو مزاجها؟ وبلا تفكير أفعل الذي يرضيها، أليس كذلك؟ ألا يحدث هذا؟ والفتاة تفعل ما يريده حبيبها حتى لو كان على حساب أي شيء آخر، يعني: قارن بين مراد نفسه ومراد حبيبه وفعله، هل قارنت بين مراد نفسك ومراد الله؟

تقول دائماً: يا أخي، الله غفور رحيم، سأنام ولن أصليَ الفجر؛ لأن التلفاز ينتهي الساعة الثالثة صباحاً، فحرام أن أستيقظ فجراً، وربنا لا يرضى بذلك أليس كذلك؟ لكن إذا كنت تنتظر مكالمة هاتفية من فتاة وقالت لك: إن أباها ينام الساعة الثالثة صباحاً ستظل مستيقظاً حتى الساعة الثالثة والنصف صباحاً لماذا؟ لأنك وضعت مراد نفسك ومراد الحبيب

واخترت مراد الحبيب، هل تعمل ذلك مع الله؟ لا، لا.

المرحلة الثانية: من حب الشباب للفتيات، أريد من الشباب المرتبطين بالفتيات أن يخجل كل واحد من نفسه ويعلم أن الله يراه، ويقول لنفسه: أيصح أن أحب فتاة أكثر من حبي لله؟ وهي تقول: أيصح أن أحب شاباً أكثر من حبي لله؟

احذر أن تكون من هؤلاء:

يا إخوتي، هناك شباب ورجال ليسوا مرتبطين بفتيات لكن أعينهم مرتبطة بكل امرأة يرونها، يوجد شباب وفتيات تتلفظ ألسنتهم بكلام حرام يُقال عبر الهاتف يُغضب الله تبارك وتعالى، ولم يسأل أحدهم نفسه: كم مرة قلت هذا الكلام الحرام؟ وكم مرة ذكرت الله؟ سيجد أن كلامه في العشق والحب أكثر بكثير، حقيقة المقارنة أنا أقولها؛ لأن هناك أناسٌ كثيرون يعانون من هذا البلاء، عار أن يكون هذا الكلام أغلى من الله، انتبهوا أن كلمة خليل الرحمٰن هي التي فتحت هذا الموضوع.

المرحلة الثالثة: الصبابة:

تحدثنا أن البداية هي تعلق القلب وحدوث سهر وتفكير، وبعد ذلك يبدأ القلب يميل فيضع ويقارن بين مراد نفسه ومراد حبيبه ودائماً يفضل مراد من؟ حبيبه، يا خسارة هناك أناس وضعت أمامها مراد الله ومراد نفسها ولم تختر أبداً مراد الله تبارك وتعالى، ثم ينتقل للمرحلة الثالثة وفيها الحب يزيد، مرحلة يسمونها في لغة العرب: الصبابة، تسمعونها في الأغاني؟

ما هي الصبابة؟

هي انصباب القلب لدرجة أنك لا تستطيع أن تقاوم قلبك، يقال: انصب الماء من أعلى إلى أسفل، جاءت من الانصباب، لو أن الماء نازل من أعلى لأسفل، هل يقدر أحد أن يوقفه؟ طبعاً لا! يعني: القلب يعلم ذلك ولا يستطيع أن يمنع نفسه عن أي شيء لحبيبه، ولم يعد له القدرة على ملك قلبه، هل حدث أن أحسست بذلك مع الله؟ إن الذي يريده الله لا أقدر أن أوقف نفسي عنه، أنا قلبي لم يعد ملكي أصبح ملك مولاي.

يا إخوتي، أنا أضرب لكم مثلين ربما يقول البعض: ما هذا، مَثلٌ فهمناه جداً ومَثَلٌ ما أحسسناه أبداً؟ وللأسف المثل الذي فهمناه جداً مَثَلُ البشر، والمثل الذي ما أحسسناه أبداً مثل الله ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: 60].

المرحلة الرابعة: الغرام:

الصبابة، القلب لم أعد قادراً أن أملكه، مستمر في النزول والتحرك، ثم بعد ذلك ينتقل لمرحلة أشد، مرحلة الغرام، نعرفها طبعاً هناك من يحفظ هذا الكلام جيداً، مرحلة الغرام ماذا تعني؟ أنه لم يعد يقدر على مفارقة محبوبه، ولذلك تقول الآية التي تخبر عن النار: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥﴾ [الفرقان: 65].

ماذا تعني غراماً هنا؟

تعني: أن من يدخل جهنم فالعذاب فيها ملتصق في جسده لا يفارقه، النار داخله، في أعماقه، غراماً يعني: لا أقدر أن أنفصل عنها، انظروا أين استخدمت الكلمة في القرآن؟ انظر كلمة الغرام أين استخدمها الله؟ كأنه يقول لك: إياك أن تظن أن الغرام حب شاب لفتاة، انتبه، فهناك غرام أسوأ من ذلك وهو غرام النار، لو أن النار أصيبت بالغرام لك لن تتركك: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: 65]، فيبدأ ببذل كل طاقته من أجل أن يتقرب إلى محبوبته، أريد أن أظل بقربها بأي طريقة، وهناك مَنْ لا يستطيع أن يأكل أو يشرب ويصيبه الهزال، سبحان الله! هذا الكلام لا يحدث أبداً مع الله! لا نجد شخصاً يقلل من أكله حتى يستطيع أن يقوم الليل، لكن ممكن ألا يأكل أسبوعاً؛ لأنه غير قادر أن يصل للفتاة التي يحبها أليس كذلك؟

المرحلة الخامسة: الشغف:

ثم ينتقل بعد مرحلة الغرام لمرحلة أشد من ذلك، مرحلة الشغف، ماذا يعني الشغف؟ أن يصل الحب إلى شغاف القلب، أي إلى أعماق القلب: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: 12]، حبه أصبح مالكاً وماسكاً وملاصقاً في أعماق قلبها، ويؤدي هذا الشغف في الحب إلى جرأة الأفعال بمعنى: أن يعمل المحب أشياء غير مقبولة من شدة الشغف مثلما فعلت امرأة العزيز، فعلت المصائب كما أنتم تعلمون، فلو وصل الحب ـ وهو حب ليس حلالاً ـ إلى شغاف القلب يؤدي إلى مصائب ومعاصٍ، مرة تكون بزواج عرفي، ومرة أنا أحبه جداً فما يقوله لها تنفذه فتخرج معه مما يؤدي بها إلى نهاية سيئة، وبعد ذلك يتركها وتبكي عمرها كله، ومرة كذا ومرة معصية كذا... إلخ.

نفس المراحل مع الفارق:

لننتقل في كلامنا إلى علاقتنا بالله تبارك وتعالى، والناس الذين يحبون الله وكيف تدرج سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى أن وصل إلى مرحلة الخليل، وكيف هي درجات الناس من هذه المراحل، واسأل نفسك: أنا في أي مرحلة، المرحلة الأولى من مراحل الحب: أن يملأ عقلك التفكير فيه ويملأ قلبك التفكر في نعمه عليك، تظل تفكر فيه، هي نفس المراحل التي مضت لكن سنعلق ونتكلم على كل مرحلة.

أولاً: التعلق بالله يعني: أفكر فيه كثيراً، أحبه ولأني أحبه لا يصح أن أتذكره خمس مرات في اليوم لمدة ثلاث دقائق، لتأدية صلاة، انتبه أنا لم أتكلم على الذي لا يصلي وإنما أنا أتكلم على الذي يصلي؛ لأن الذي لا يصلي هو خارج عن الحب نهائياً ولا يصح التكلم عنه.

أيها الأحبة، من لا يصلي فهو لا يحب الله ولا يحبه الله.

أنا أتكلم هنا على درجات المحبين، فيجدر بك أن تنتبه وأن تسأل نفسك : هل بدأت أفكر فيه؟ أفكر فيه لدرجة أنني أستغرق في التفكير به الكثير من الوقت، أفكر في عظمته وفي خلقه وفي رحمته عليّ وأتمنى أن أكون في الجنة، أفكر في رضاه علي، كيف أنعم عليَّ بكذا وكذا؟ هذه أول مرحلة أفكر فيها، كيف أفكر فيه؟ بأن تقرأ القرآن كثيراً، أن تذكر أسماءه الحسنى كثيراً، وأمر ثالث وهو عبادة اسمها: التفكر، الأشخاص الذي يسافرون للمصيف، بالله عليك اجعل الهدف الأول في المصيف هذه السنة أن تجلس أمام البحر كثيراً لكن ليس في أي وقت، تجلس أمام البحر كثيراً في وقت الفجر حتى تشاهد خلقه، تقول: سأصلي صلاة الفجر وأتمشى على شاطىء البحر وأنظر كيف يجعل الله من كل ليل نهاراً؟ أشاهد صنعته العظيمة وقت الغروب.

التفكر من أكثر العبادات التي تقربك من الله ﷻ.

مراده أم مرادي؟

قراءة القرآن وذكر أسمائه الحسنى والتفكر في خلقه وذكره سبحانه، ثلاثة أمور تطيل التفكير بالله بكثرة، فتنتقل إلى المرحلة الثانية وهي ميل القلب أكثر فتبدأ تقارن بين مراد نفسك وبين مراد الله ﷻ، في البداية كنت تفعل ما في رأسك يعني: ما تريده أنت تفعله أما الآن فالأمر اختلف وهو: ماذا يريد الله؟ أصبح هذا السؤال أمام عينيك دائماً قبل أن تقوم بعمل أي شيء، فتبدأ تقارن بين مراده ومراد نفسك، أنا ماذا أريد وهو ماذا يريد؟

أما الذين ليس لهم علاقة بحب الله، الذين هم تائهون في الدنيا، هؤلاء الغافلون بعيدون جداً عن الله، وبعد أن وصلت في التفكير فيه وبعد أن اجتزت مرحلة التفكير فيه، وصلت لمرحلة المقارنة بين ماذا يريد هو وما تريده أنت، ويتغلب مراده على مرادك غالباً، وأحياناً تختلط الأمور وأحياناً لا تستطيع أن تقول: لا أنا، لكن الغالب أنك تفضل مراده على مرادك، أنا أريد ألا أرتدي الحجاب لكن هو مراده أن أتحجب، مراده أم مرادي؟ وتظلين تتصارعين في نفسك، لو بقيت في صراع عشر سنين فأنت بعيدة جداً، ومتأخرة جداً... وأنت تفكر هل أستيقظ لأصلي الفجر أم أنام؟ وتظل تنازع في نفسك أستيقظ أم أنام وتستيقظ يوماً وتنام يوماً، لكن انتبه أنت وصلت إلى مرحلة جميلة، مرحلة أنك أصبحت تضع لمراد الله أهمية في حياتك، وهي التي يسمونها بلغة الشرع: تحري الحلال من الحرام، اللفظ الشرعي لها: أنك تتحرى أعمل أم لا، فعندما تسأل أعمل أم لا، اعرف أنك اجتزت مرحلة في المحبة، هناك أناس كثيرون بهذا الشكل، يعني: أن ما يأتي إلى رأسك لا تعلمه وإنما تفكر هل هذا يرضيه أم لا؟ هناك أناس تقارن بين مراد الله ومراد نفسها كم في المائة تنجح وتختار مراد الله؟ وكم في المائة يختار مراد نفسه؟ لو مائة في المائة يختار مراد الله إذن أنت أصبحت في الأعلى جداً وستجتاز المراحل التي سنذكرها بعد قليل.

وقليل ما هم:

ثم ننتقل إلى منزلة جديدة من الحب ما هي؟ أن ينصب كل قلبك على الرضا، يصبح هدفاً من أهداف حياتك الأساسية، يعني: ليس فقط أن تتحرى الحلال والحرام وتفكر فيه، وإنما أن يصبح هذا هدفاً في حياتك، أريد أن أرضيك.

هدفي يا إخوة من هذا أن ينظر كل منا إلى المرحلة التي يعيشها، كلنا يمكن أن يكون قد تعلق بامرأة سواء زوجته أو فتاة أحبها، لكن من الذي كان من أهدافه إرضاء الله سبحانه وتعالى؟

هذا الكلام عقلي جداً، يعني: مسألة إرضاء الله هذه هل هي فضل منك أم أنه واجب عليك؟ أنا أحبك ، أنا أريد أن أرضيك ، وأنت ماشٍ في الشارع تقول: يا ليتني أجد فقيراً الآن، أنا أعرف أن هذا يرضيه جداً، فتجد الفقير فاعلم أن علاقة حبك بالله وصلت مدىً عالياً حيث جعل الله الفقير أمامك؛ لأنه يريدك أن ترضيه ويريد أن يرضيك، يا ليتني أستيقظ لأصلي قيام الليل فيوقظك؛ لأنك أصبحت تريد رضاه فيقول الله لك: هكذا الحب

يزيد بيني وبينك أكثر، يا رب، ليتني أستيقظ الفجر وأمشي إلى المسجد أذكر الله، يارب، نجّني من المعصية وأبعدها عني، فتظل تدعوه.

أنا أريد أن أرضيك، أبعد عني المعاصي، أنا غير قادر على مقاومتها، فيسلخها من قلبك مثل الشعرة من العجين ، ويزيحها من قلبك فتجد القلب مسروراً بطاعة الله، وتظل تعيش في هذه المرحلة الجميلة، مرحلة أنك تتمنى أن تعرف ماذا يرضيه وتفعله، تماماً مثل من يبحث على من يحبه في الدنيا، ويقول له: لو أرضيه بعمل هذا سيسعده جداً، مثل أنك تفعل لأمك شيئاً تحبه وتذهب وتقول لها: انظري ماذا فعلت وتكون هي سعيدة بك والسعادة تملأ قلبك، هذا بالضبط إحساسك مع الله، ولله المثل الأعلى.

أريد أن أسأل سؤالاً: هل أقول كلاماً في الهواء أم كلاماً يمكن أن يتحقق؟ والله يا إخوة هذا الكلام يمكن أن يتحقق لو أنك تريد ذلك، ربك كريم، ربك قريب جداً، ربك يريد أن يأخذ بيدك، ممكن أن يتحقق في لحظة وتقول: أنا من ضمن أهدافي في الدنيا أن أجعلك راضٍ عني، ثم تبدأ تقول: هل أحضر هذا الدرس؛ لأن الله سيكون راضياً عن الذين حضروه، اجعلني منهم يا رب، هل أذهب لزيارة عمي وخالي مع أنهم في قطيعة معي؟ الله يحب صلة الرحم وأنا سأزورهم لأجل إرضاء الله ﷻ.

انتبه معي، أمك سريعة الغضب، كلما كلمتها تتشاجر وتغضب ومهما حاولت أن ترضيها لا ترضى، ستقول لنفسك: لا يهمني، أنا لا أرضيها هي أنا أرضي الله، أنا حين أقبل يديها فإن الله يكون راضياً عني، سأتصدق لكن مالي قليل لكني سأفعل مثلما كانت السيدة عائشة تفعل فهي تقول: إن هذه الصدقة تقع في يدي الله قبل أن تقع في يدي الفقير، أنا أريد أن أرضيه، يا ترى كم منا بهذا الشكل؟ قليل أم كثير؟

لم تعد تملك نفسك:

ثم يزيد هذا الحب ويصل لمرحلة الصبابة، لكن الصبابة هذه تخص كلام أهل الدنيا، تصل إلى حد أنك لا تستطيع أن توقف نفسك، أنت مندفع لطاعته، والأشياء التي كان من الممكن أن تفعلها قبل ذلك لن تفعلها لماذا؟ لأنك الآن ستقول لنفسك: لا، لا أنا لن أجلس في أماكن تغضب الله أبداً أنا مندفع لحبه وطاعته، أخاف أن يتغير قلبي، أخاف أن يقل الحب، أخاف أن يراني في مكان هو لا يحبه فيغضب على كل الجالسين فيه، انتبهوا يا إخوة، إن الأماكن السيئة هذه لها مشكلة، يعني: أنت تقول: أنا ذاهب مع أصحابي هم سيعملون معصية ما، لكن أنا ليس لي علاقة بهم، أنا جالس معهم بدلاً من أن أجلس في

البيت، فتجلس معهم ويكون معهم خمرة أو يكونون في معصية شديدة فتفقد حبه لك؛ لأن الله سيغضب على الجلسة كلها ومن يجلس فيها، لماذا تجلس هناك إذن؟ لماذا دخلت في المنطقة المشبوهة هذه؟ فاحذر، ثم يمتلىء القلب بالحب فتريد أن تنصب على طاعته، فتصلي ركعتي قيام وتصوم وتذكر وتدعو، و.. و... الصيام في الصيف صعب لكن صيام الاثنين والخميس يرضي الله جداً وأنا قلبي فيه صبابة أي أنه منصب على طاعته.

حسنات الأبرار سيئات المقربين:

ويزيد الحب إلى أن يصل لشغاف القلب، هل من أحد رأى تلك الأشياء قبل ذلك مع الله، ما هي علامات وصول الحب لشغاف القلب؟ أن تجد دمعتك قريبة، وتجد الخشوع عالياً، تسمع الآية فتجد قلبك سكن وزاد إيمانك، تسمع واحداً يدعو فدموعك تسري، تسمع القرآن تتأثر فتصل بذلك لمرحلة الشغف، قلبك أصبح ممتلئًا بحب الله، أي: أنك تتأثر بسرعة، تتذكر نعمة من نعمائه عليك فتجد عينك تدمع، تتذكر وقوفك بين يديه يوم القيامة فتجد قلبك تزلزل، تتخيل نظرته إليك وهو يقول لك: يا عبدي، يا فلان، أنا راضٍ عنك، اذهب وادخل جنتي إني قد غفرت لك، فتجد قلبك ممتلئاً بالفرحة، ملِيء القلب بالشغف وبالرضى لله سبحانه وتعالى، فتنتقل إلى درجة أعلى في الحب، وما زال أمامنا مراحل.

العبودية:

فتنتقل إلى درجة أو مرحلة أعلى وهي مرحلة العبودية.

ماذا تعني العبودية؟

أن تحب الله، أن تتذلل إليه، يعني: عبد ذليل بين يدي سيده، فيصبح مزاجك أن تحب، أن تحس أنك ذليل إليه، وتفرح جداً من سجدة تحس أن جوارحك ويديك ورجليك ووجهك خاشع بين يديه جداً جداً، فتكون سعيداً جداً وتقول: إنها أحلى سجدة، منزلة الذل والخشوع أن تكون جالساً بين يديه تدعو وتجد نفسك نكست رأسك بين يديك ورفعت يديك بمسكنة وقلت له: أنا مسكين ليس لي غيرك، تصدق عليّ! إن هذه المنزلة عالية جداً يحبها الله، ولذلك لم يزكِّ الله النبيّ ﷺ إلا بصفة العبودية: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن: 19]، يعني: النبيّ ﷺ.. ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: 1].

ولكنها ليست لك:

بانتقالك لهذه المرحلة لم يعد أمامك إلا مرحلة واحدة فقط، لكن هذه المرحلة ليست ملكك وهي مرحلة الخليل التي جاءت بكل هذا الكلام، وهي أن تكون خليل الرحمٰن، وهذه المرحلة انفرد بها شخصان فقط في الوجود كله هما: سيدنا إبراهيم عليه السلام ورسول الله ﷺ، انظروا وصلنا ورجعنا لسيدنا إبراهيم عليه السلام مرة أخرى، رجعنا إلى ما بدأنا به، انفرد بها سيدنا إبراهيم والنبي عليهما السلام ستقول: سيدنا إبراهيم عرفنا الآية: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125] ﷺ؟ لكن لم تقل هذه الصفة على النبيّ ﷺ.

يقول النبيّ ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: **«إني أبرأ إلى الله** ـ أعتذر إلى الله ـ **أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً»**، كأنه يقول: أعتذر لكل الناس لا أستطيع أن أتخذ منكم الخليل، **«فإن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لكان أبا بكر»**[1]، لكن حتى أبو بكر لا ينفع، أنا خلتي بيني وبين الله تبارك وتعالى، والنبيّ ﷺ يقول في حديث آخر: **«إبراهيم عليه السلام خليل الرحمٰن وهو كذلك وموسى عليه السلام نجي الرحمٰن** ـ لأنه نجاه ـ **وهو كذلك وعيسى عليه السلام روح الله وكلمته وهو كذلك، ألا وإني حبيب الرحمٰن ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين على ربي ولا فخر** ـ أنا لا أفتخر، أنا أقول حقيقة ـ **ألا وإني أول شافع يوم القيامة وأول مشفع ولا فخر، ألا وإني أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة ولا فخر، ألا وإني أول من يحرك حلق باب الجنة ولا فخر فيدخلني الله إياها ومعي فقراء المسلمين»**[2].

أين أنت بعدما سمعت كل الذي مضى؟ تخيلوا أن هناك أناساً خارجين عن هذا الموضوع تماماً، بعيدين عن هذا الكلام كل البعد، هو ليس له علاقة بالله ومسألة الحب والخلة والقصص التي ذكرتها، ليس لهم علاقة بهذا الأمر، نسأل الله أن يسترهم ويهديهم.

أولي العزم:

من أفضال سيدنا إبراهيم عليه السلام:

أولاً: هو أبو الأنبياء، **ثانياً**: هو خليل الرحمٰن، **ثالثاً**: هو أحد الأنبياء الخمسة الذي يطلق عليهم أولو العزم من الرسل.

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 1188).

(2) أخرجه الترمذي في (الحديث: 3616).

من هم أولو العزم من الرسل؟

هم سيدنا نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم السلام، جمعهم الله تبارك وتعالى في آية هي: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب: 7]، هؤلاء الخمسة ميثاقهم غليظ.

ما معنى أولي العزم من الرسل:

يعني: أنهم أكثر رسل الله الذين تعرضوا لمواقف عصيبة، وجاهدوا في سبيل الدين، أقوى جهاد في سبيل الله في الكون كله جهاد هؤلاء الخمسة.

كان أمة:

ولذلك أنتم سترون في الحديث عن سيدنا إبراهيم عليه السلام كلاماً عجيباً، ما هذا البذل؟ وما هذا العطاء! وهذه التضحية! النقطة التالية في سيدنا إبراهيم ونحن نتكلم عن فضله أنه كان أمة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠﴾ [النحل: 120]، ما معنى: ﴿كَانَ أُمَّةً﴾، يعني: طاعته لربنا وعبادته لله تبارك وتعالى تساوي أمة كاملة تطيع وترضي الله، تخيل أن طاعات مصر كلها لا تصل إلى الطاعة التي كان يطيعها سيدنا إبراهيم لله، حاول أن تتخيل أن إبراهيم كان أمة، يزن بلداً، وأمة لها تفسير آخر وهو أن ثواب سيدنا إبراهيم عليه السلام على طاعاته وعبادته لله مثل ثواب أمة بكاملها لو وضعنا كل حسناتنا في كفة، وحسنات سيدنا إبراهيم عليه السلام في كفة، وأمة لها معنى ثالث: وهو أنه بصلاحه تنصلح أمة كاملة، انظروا للمعاني، الثلاثة معنى كل واحد فيها عظيم جداً **الأول**: عبادته وطاعته لله تساوي البشر كلهم، وتساوي هؤلاء الذين في المسجد كلهم وهذه البلد كلها، **الثاني**: أن حسناته التي أعطاها الله له تساوي حسنات أمة كاملة، **الثالث**: بهداه تهتدي أمة كاملة.

بكم أنت؟

أسألك الآن سؤالاً، هو كان أمة، أنت بكم؟ هو بهدايته أمة فماذا عنك؟ نقول: شارعك الذي تسكن فيه هدايته بهدايتك، شركتك هدايتها بهدايتك، هل تأخذ حسنات شركة كاملة؟ أو شارع؟ أو مبنى؟ أو منزلك فقط، إذن نفسك؟ حتى إنك لا تصل إلى نفسك، إبراهيم كان أمة، أتعلم كم كان عمره وهو أمة؟ ست عشرة سنة، عبادته مثل عبادة أمة، كم تساوي عبادتك أنت؟ لو نزلت إلى صلاة الفجر ووجدت النوافذ مغلقة والأنوار مطفأة يمكنك أن تقول: أنا سبقت شارعاً، لو التزمت بوضع الحجاب وزميلاتك لسن محجبات

تقولين: أنا سبقت، أنا أقرب إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام، إبراهيم كان أمة وأنا بكم؟ لماذا لا أساعد عشرة من أصحابي بأن أجعلهم لا يقعون في المعاصي طوال وجودي معهم على الأقل؟ جميل، يقول لك أحد التابعين كلمة جميلة جداً وهي: كن رجلاً بألف رجل فإن لم تستطع، فكن رجلاً ولا تكن نصف رجل، فالآن بكم تستطيع أن تكون؟

رجل بألف رجل:

يوجد صحابة مثل سيدنا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يقولون عنهم: إن الرجل بألف رجل، إبراهيم عليه السلام كان أمة، أمة كبيرة، لكن يوجد صحابة الواحد منهم بألف، بكم أنت؟ يوجد أناس بعشرة، يوجد نساء الواحدة منهن بمائة، تعلمت هذه القرآن وتأخذ بيد جارتها، وتكلم هذه في الدين وتأخذ بيد زوجها وتربي أولادها وتأكل حلالاً وتعمل كذا، وتتقي الله، وتفطر أناساً صائمين، وهناك شباب بالمئات يأخذ بيد صاحبه ويكلم هذا في الدين ،ويزور عائلته ويجمّع الناس على طاعة الله، وهناك أناس الواحد منهم هو واحد بنفسه فقط، وهناك أنصاف، وهناك أصفار، وهناك تحت الصفر فكم ترضى لنفسك أن تكون؟

انظر إلى سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو يرسل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ليقول له: يا أمير المؤمنين، استعصى علي فتح مصر فأرسل إلي مدداً فقال له: فماذا تريد؟ قال: أريد أربعة آلاف رجل، فبعث له ثلاثة آلاف رجل ومعهم رجل، وقال: أردت مدداً من أربعة آلاف رجل فأرسلت إليك ثلاثة آلاف رجل ورجل هو بألف رجل، هو القعقاع بن عمرو، فغضب عمرو بن العاص وقال له: يا أمير المؤمنين، أريد مدداً، أريد رجالاً، نحن على أبواب المعركة، أرسل إلي مدداً، فقال: والله لصوت القعقاع في المعركة خير من ألف رجل، صوته في المعركة أحسن من ألف رجل. قارن الآن بين شبابنا الذين أصبحت قضيتهم مثلاً أن يلبس سلسلة، والسلسلة حرام؛ لأن أصل تزيين الرقبة من فعل النساء وليس من فعل الرجال، أو قارن بالذي يسير كل يوم في الشوارع بسيارته فاتحاً الموسيقى، ولا بد أن تكون موسيقى أجنبية، وهو لا يفهم ماذا يسمع، الأمر فقط لأجل الشكل، أو الذي يغازل البنات في الشوارع تخيل هذا! قارن بين هذا الذي يكون تحت الصفر وبين صوت القعقاع في المعركة، ويقف القعقاع أمام حصن بابليون والحصن مستعصٍ على المسلمين، فيصيح صيحة الله أكبر، الله أكبر، فيرتعد القبط في الحصن، ويسرع ويفتح باب الحصن ويدخل المسلمون، ويَصْدُق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لصوت القعقاع في المعركة خير من ألف رجل. فقل لي: بكم أنت؟ تذكر أن إبراهيم كان أمة.

قانتاً لله حنيفاً:

نأتي لصفة أخرى، انظر إلى كل هذه الصفات القرآنية: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: 120]، كلكم تسمعون الدين الحنيف أليس كذلك؟ وأن إبراهيم كان حنيفاً.

فماذا تعني كلمة حنيف؟

حنيف في اللغة: يعني بعيد كل البعد عن الشرك، بعيد كل البعد عن أي شيء به شرك بالله تبارك وتعالى، وأي شيء يبعده عن الله يتركه ويبتعد عنه بعداً شديداً، هذا هو معنى كلمة حنيف.

شاكراً لأنعمه:

أيضاً يزكيه الله في القرآن ويقول عنه: شاكراً لأنعمه، من صفات سيدنا إبراهيم عليه السلام أنه كان شاكراً لأنعمه، يا إخوتي، أنا أوصيتكم كثيراً، بالله عليكم لا بد أن تحمدوا الله كل يوم؛ لأنك لو حمدت الله كل يوم خمس دقائق فقط أنعم الله عليك، وأغرقك الله بنعمه، عار عليك يا أخي، الشاب الصغير ربما لم يشعر بالنعم، لكن الكبير عليه أن يتذكر أن الله هو مَن زوجه ورزقه، تذكر حين لم تكن عندك سيارة ورزقك الله بسيارة؟ تذكر أين كنت تسكن؟ تذكر كيف زوجّك؟ تذكر كيف كانت ملابسك؟ تذكر كيف اشتغلت في وظيفتك؟ تذكر القوة، تذكري الجمال الذي أعطاه لكِ.

بالله عليكم يا إخوة كل يوم خمس دقائق شكر، الحمد لله الحمد لله، الحمد لله الحمد لله، الحمد لله.

الذي وفى:

قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: 53]، لاحظوا قول الله تعالى لكل واحد منا: أنه وفى، أتعلمون بماذا وفّى؟ وفّى بكل أمر طلبه الله منه فسماه من الأوفياء، لم يطلب الله تبارك وتعالى شيئاً إلا ووفّى به، كل شيء، طاعات، عبادات، ترك معاص، وفّى؛ لأنه لم يكن يفرق بين طاعة كبيرة وطاعة صغيرة، كله كان يُوفي به، أما نحن فكثيراً ما وعدنا الله بأشياء ولم نوف، أليس كذلك؟ أتذكر حين قلت: أنا من اليوم سأفعل كذا وكذا وكذا؟ يا ترى وفيت أم لا؟ يا ترى عهودك مع الله وفيت بها؟ إن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1]، والذين يرجعون كما كانوا: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى

﴿قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: 77]، نفاق مستحكم في القلب ليوم القيامة بسبب أنهم أخلفوا وعودهم مع الله تبارك وتعالى.

من الصفات التي وصف الله بها إبراهيم صفة جميلة جداً: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود: 75]، يا ترى عندما يقابلك الله يوم القيامة بماذا سيصفك؟ احذروا يا إخوة، الله سيذكر أمورك يوم القيامة، تخيلوا عندما يناديك الله يوم القيامة، قال الله تبارك وتعالى عن إبراهيم: ﴿الَّذِي وَفَّىٰ﴾، أتعلم بماذا سيناديك الله؟ يمكن أن يناديك يوم القيامة فلان كان يفعل المعصية كذا وتركها من أجلي، ماذا سيحدث لك وقتها؟ كيف سترفع رأسك وتضحك وهو يقول لك: ادنُ مني يا فلان، سيقول لك: اقترب، وهو مسرور بك فيغمرك من نور الله ﷻ، نور الله تبارك وتعالى يغمرك، لماذا؟ لأنك عملت كذا وكذا، تذكر لما أخذت بيد صاحبك الذي كان بعيداً عن الله، تعال الآن، أتحب أن ينادى عليك بهذه الصورة؟ انظر إنه ينادي على سيدنا إبراهيم بأنه حليم أواه، أتعلم ماذا تعني أواه؟ أي: كثير التأوه، يتأوه من مخافة الله ﷻ.

هل هناك يا إخوة من تأوه من مخافة الله ﷻ، هذه المشاعر بعيدة عنا، لماذا قلوبنا قاسية بهذا الشكل؟ لماذا قلوبنا أصبحت جامدة؟ لماذا الدمعة أصبحت بعيدة، لماذا أصبح الشعور بالحرص على إرضاء الله صعباً؟ أين هذا القلب الذي يهتز بسرعة.

انظر قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: 74]، أقول لكم: كيف أن الحجارة أحسن منكم: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ﴾، الحجارة فيها حياة، الحجارة تخرج منها مياه، لكن أنتم قلوبكم لا تخرج شيئاً، أواه يا جماعة كثير التأوه من خشية الله.

اترضى بالسفاهة:

ومن الأوصاف التي وصف الله بها سيدنا إبراهيم عليه السلام أيضاً أن من يترك ملة سيدنا إبراهيم يصبح سفيهاً، يا من ترك طريق سيدنا إبراهيم، إن الله يصفك بالسفاهة، سفيه! من أين عرفت هذا الكلام؟ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ﴾ [البقرة: 130].

اقترانه مع نبينا في التحيات:

من فضل سيدنا إبراهيم عليه السلام أيضاً فضل جميل جداً، أننا في الصلاة نذكر سيدنا إبراهيم عليه السلام مع النبيّ ﷺ، هل لاحظتم هذا الأمر من قبل؟ التحيات لله والصلاة والطيبات المباركات لله، السلام عليك أيها النبيّ ورحمته وبركاته، اللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. فسيّدنا إبراهيم النبيّ الوحيد الذي يذكر مع النبيّ ﷺ في الصلاة.

دعوتان:

من أفضال سيدنا إبراهيم عليه السلام أن الله اختاره ليبني البيت الحرام، يعني: شرّفه الله أن يرفع القواعد وهذا فضل كبير، من أفضال سيدنا إبراهيم أيضاً أنه له دعوتان تحققتا بعد آلاف السنين، **الدعوة الأولى**: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: 129]، من هو هذا الرسول؟ هو النبيّ ﷺ، تحققت الدعوة بعد كم سنة، أنتم أحياناً تستعجلون، وتريد أن تتحقق دعوتك الآن، انظر دعوة إبراهيم تحققت بعد آلاف السنين، الدعوة الثانية: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: 35]، وهي مكة فحرمها الله أن يحدث فيها ما يعكر هذا الأمان من أجل دعوة إبراهيم عليه السلام لدرجة أن النبيّ ﷺ كان يدعو ويقول: **«اللهمّ إن أبي إبراهيم دعاك أن تحرم مكة وأنا أدعوك أن تحرم المدينة»**[1]، فانظروا دعوة تستجاب بعد آلاف السنين، هل سمعتم يوماً أن عدواً دخل مكة؟ لا، لماذا يا جماعة؟ لدعوة دعاها إبراهيم عليه السلام، وهل من الممكن أن أدعو دعوة تظل محققة آلاف السنين؟ نعم، لو دعوت بإخلاص أن يهدي الله ذريتك، وأنها تكون كلها مؤمنة إلى يوم القيامة، والله لو صدقت في إخلاصك تتحقق إن شاء الله.

أول من يُكسى يوم القيامة:

من أفضال سيدنا إبراهيم عليه السلام أيضاً أن له سورة باسمه، سورة «إبراهيم»، ومن أفضاله أيضاً أنه أول من ضاف الضيوف، فأول واحد استضاف الناس وعمل الولائم هو إبراهيم عليه السلام ولذلك فهو أكرم الناس، وله فضل آخر جميل جداً أنه أول من يكسى يوم القيامة، يقول النبيّ ﷺ: **«إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام»** رواه مسلم[2]، يا إخوة، نحن

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 2889)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 3308)، و(الحديث: 3309)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3922)، وأخرجه الإمام **أحمد** في (الحديث: 3/ 149).

(2) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 713).

سنكون يوم القيامة حفاةً، عراةً، كل الخلق يا إخوة، السيدة عائشة تقول: يا رسول الله، نحشر عراة ينظر بعضنا إلى بعض؟ قال: «**يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»[1]، رجال ونساء عراة، هل أنت متخيل صعوبة الموقف؟ الكل خائف، لا أحد ينظر لأحد، يا إخوة سنأتي عراة، من أول شخص سيكسى؟ إبراهيم عليه السلام أول واحد في البشرية، يقول النبيّ ﷺ: «**فيقول الله ﷻ: اكسُ يا ملائكتي خليلي، اكس يا ملائكتي خليلي**»، انظروا لقدره عند الله، بسرعة اكس يا ملائكتي خليلي اكسوه، يقول النبيّ ﷺ: «**فأُكسى حُلة من حلل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري**»[2]، ونحن كل منا يكسى حسب أعماله، يا ترى متى سنكسى؟ سيوجد أناس ستكسى متأخرة جداً، هل فكرت؟ هل تأمل أن تكسى مبكراً أم متأخراً؟ أن تكون عارياً يوم القيامة، حتى ولو كان لا يوجد من ينظر إليك فالأمر قاس جداً، موقف قاسٍ للنساء وحتى للرجال، البشرية كلها واقفة والكل عار، موقف صعب جداً، ولذلك أنت ستتمنى وقتها أن تكسى، متى تكسى؟ وأمامك فلان كسي، وفلان كسيَ وفلانة كسيَت، وأنا واقف لم أكسَ حتى الآن، ولذلك نصيحة لبناتنا اكسي نفسك في الدنيا حتى يكسيك الله بسرعة يوم القيامة، ولذلك كلما كان لبس الفتاة أو المرأة بعيداً عما أمر به الله، كلما خافت على نفسها أنها ستكسى متأخرة يوم القيامة، انظر إلى وجع القلب، أن تكون في وسط أربعة كلهم كسوا إلا أنت، هذا الكلام للشباب والبنات، الفتيات التي ترتدي الثياب الضيقة، الفتيات التي ترتدي ملابس التصييف، الفتاة التي تصيف بثياب البحر أمام الناس كلها! أنا خائف عليكِ والله، أقول هذا الكلام من خوفي عليك، الفتاة التي لا تستطيع أن تأخذ خطوة الحجاب.

أيها الأحبة، إنه موقف صعب جداً، الوقوف عراة وقفة صعبة جداً جداً، خصوصاً إذا بدأ من بجانبك يكسَى، وأقولها للشباب أيضاً، الشاب الذي يرى قنوات قبيحة الشاب الذي يشاهد لقطات على الإنترنت هو يعلم أنها حرام جداً، ألا تخاف أن يؤثر هذا عليك يوم القيامة، ألا تكسَى سيكسى الناس يوم القيامة الأتقى فالأتقى، ولذلك هناك حديث للنبيّ ﷺ يقول: «**رأيتني يوم القيامة**»، أنا رأيت كأني واقف يوم القيامة، «**يعرض عليه الناس وعليهم قمص**» جمع قميص، «**فمنهم من يصل القميص إلى ثدييه**»، يعني: يمكن أن تكسى ولكن لا تكسى كلك، متخيل، «**فمنهم من يصل القميص إلى ثدييه، ومنهم من يصل القميص إلى**

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 6527)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 7127)، وأخرجه **النسائي** في (الحديث: 2083)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 4276).

(2) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3611).

ترقوته»، شيء قليل جداً، **ورأيت عمر بن الخطاب يأتي يجر قميصه»**، ﷺ وأرضاه، فقال النبيّ ﷺ: **«أتدرون ما القميص»** ـ هل تعلمون هذا القميص إلى ماذا يشير؟ ـ قالوا: ماذا يا رسول الله، قال: **«الدين»**، هذا القميص دينك كل واحد يلبس على مقدار دينه في الدنيا، فالذي كان دينه عظيماً تجده مكتسياً مثل سيدنا عمر بن الخطاب يجر قميصه؛ لأن دينه قوي، دينه متين، وهناك من ستجده آت بـ(ببينونة) في رقبته، يا ترى أنت ماذا ستكون مرتدياً يوم القيامة؟ ستكسى أم لا، ويا ترى ستكسى متأخراً أم مبكراً؟ **«ثم أقوم عن يمين الرحمٰن»**، انظر إلى المكان الذي سيصل إليه النبيّ ﷺ: **«ثم أقوم عن يمين الرحمٰن وكلتا يدي الرحمٰن يمين مقاماً يغبطني عليه الأولون والآخرون»**[1]، سأقف بجوار الله تبارك وتعالى، كل البشرية تغبطني تقول: يا سعدك يا رسول الله على المكانة التي وصلت إليها.

علاقة خاصة:

نحن ما زلنا مع سيدنا إبراهيم عليه السلام وفضله، تعالوا ننتقل لنقطة أخرى وهي علاقة سيدنا إبراهيم عليه السلام بالنبيّ ﷺ! كان يوجد بينهما علاقة رغم أن بينهما آلاف السنين، لكن هناك علاقة خاصة جداً بين النبيّ ﷺ وسيدنا إبراهيم عليه السلام، سئل رسول الله ﷺ: حدثنا بأول أمرك، يعني: قل لنا كيف بدأت دعوتك، تخيلوا ماذا قال النبيّ ﷺ؟ قال: **«أنا دعوة أبي إبراهيم»**[2]، يعني: هم يريدون أن يقولوا له: كيف بدأت في هذه الأيام وفي هذه الفترة؟ لا، أنا بدايتي من وقت دعوة أبي، أنا دعوة أبي إبراهيم، انظروا إلى خصوصية العلاقة، والنبيّ عندما أراد أن يسمي ابنه سماه: إبراهيم، انتبه إلى أن كل أبناء النبيّ سماهم النبيّ قبل أن يُبْعَثَ والوحيد الذي ولد بعد بعثة النبيّ هو من؟ هو إبراهيم فاختار له النبي اسم والده، اسم أبيه إبراهيم، وأكثر من ذلك أن كثيراً من سنن الإسلام بدايتها أوامر قالها سيدنا إبراهيم عليه السلام، يعني: أمور أُمرنا بها هي في الأصل من الأمور التي قام بها سيدنا إبراهيم فتفعل أنت سنة أصلها من عند سيدنا إبراهيم، يعني: مثلاً النبيّ ﷺ كان حريصاً أن يقص الشارب أو يحف الشارب، يعني: كان حريصاً أن لا ينزل على شفتيه، فلما فعل النبيّ ﷺ ذلك فقالوا: لم يا رسول الله؟ قال: **«هكذا فعل إبراهيم»**، يعني: النبيّ ﷺ كان يعلم كيف كان الشكل الظاهري لسيدنا إبراهيم، بل أكثر من ذلك، كان الصحابة مرة يقولون للنبيّ ﷺ: يا رسول الله، ما هذه الأضاحي؟ يعني: لماذا نذبح في العيد؟ فقال النبيّ ﷺ: **«سنة نبيكم إبراهيم»**، الصحابة كانوا معتادين أنهم كلما فعلوا أمراً فإنهم يعرفون ثوابه، فقالوا: فما لنا إن

(1) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 6139)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 1/ 398).

(2) أخرجه **البيهقي** في «دلائل النبوة» (الحديث: 1/ 69)، وذكره **السيوطي** في «الدر المنثور» (الحديث: 1/ 139).

فعلنا ذلك يا رسول الله؟ فقال النبيّ ﷺ: «**بكل شعرة حسنة**»، الشعر الذي في جسم الهدي كل شعرة فيه بحسنة، فقالوا: والصوف يا رسول الله والوبرة؟ انظر لحرص الصحابة يريدون أن يكسبوا ثواباً بأي طريقة، انظر للناس الآن وكيف أنها أصبحت زاهدة في الثواب، هذا هو الشعر، فماذا عن الصوف يا رسول الله؟ فقال النبي: «**وبكل شعرة من الصوف حسنة**»[1]، فأصبح كل ما في جسم الهدي بعدما يذبح بعدد شعر جسده تتحول إلى حسنات، هذا الحديث رواه ابن ماجه.

مقارنة سريعة:

أريد أن أقف عند هذا الحديث فنحن نقول: فلان يعرف كيف يجني المال، هل فينا الآن من يعرف كيف يجلب الحسنة؟ هل هناك من فكر في هذا الموضوع من قبل أن يستيقظ يقول: كيف أكسب حسنات أكثر، أهدي شخصاً، آخذ بيد أحد، أعلِّم أحداً شيئاً في الإسلام، طبعاً لأن كل حسناته ستوضع في ميزاني فأكون أنا جالس في بيتي وكفة حسناتي في زيادة، «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[2]، حديث يجلب الكثير من الحسنات، إذن اذهب وتعلّم القرآن، ماذا أيضاً يجلب الحسنات؟ من قال: سبحان الله وبحمده غفرت ذنوبه، تخيل من يقول: سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، وزبد البحر هو الريم الأبيض الذي تتركه الموجة، معنى ذلك أنه لو كانت ذنوبك مثل زبد بحر شاطىء الساحل الشمالي، وقلت: سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت لك، هل أنت مصدِّق، نعم طبعاً؛ لأنه حديث صحيح عن النبيّ ﷺ انظر ماذا يقول لك النبيّ: «**أيعجز أحدكم** ـ صعب على أحدكم ـ **أن يكسب في يوم ألف حسنة**»، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «**يسبح مائة تسبيحة، يقول: سبحان الله مائة مرة فيكتب به ألف حسنة، أو يمحى عنه ألف سيئة**»[3]، الإنسان الحريص يقول: عندما أعود إلى البيت وبعد أن أصلي صلاة الفجر، أُسبح مائة مرة سبحان الله وبحمده، وآخذ ألف حسنة ويمحى عني ذنوب اليوم.

فمن يا إخوتي يريد أن يملأ سجل حسناته، أنا لا أعرف ما هو وضع سجل السيئات، إذن الحل أن أكثر من حسناتي.

---

(1) أخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 3127)، وأخرجه الإمام **أحمد** في (الحديث: 3/ 368).

(2) أخرجه **أبو داود** في (الحديث: 1452)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 2907)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 211)، وأخرجه الإمام **أحمد** في (الحديث: 1/ 58).

(3) أخرجه الإمام **أحمد** في (الحديث: 1/ 180)، و(الحديث: 1/ 181).

الفتاة التي تخرج إلى الشارع وهي محجبة ويراها الناس لها حسنات أيضاً لماذا؟ لأنها ارتدته لله، ولأنها ذكّرت الناس بالله عندما رأوا حجابها، فتكون هي خارجة لشراء الخضار، أو ذاهبة للنادي للتنزه مع أولادها، فإذا نظر أحد تكتب لها هي حسنة فترجع إلى بيتها ومعها ألف حسنة، هل تعلمون أن الحجاب تشريف للمرأة، وأننا نحسد المرأة على حسناتها، النساء تقول: الرجال يأخذون حسنات أكثر منا.

يا إخوة، الله وزع الحسنات، فإذا كان الرجال أخذوا فضل صلاة الجمعة وفضل الصلاة في المسجد، والجهاد في سبيل الله، فأنت بحجابك دون أن تتكلمي في الدين ستأخذين حسنات، فيا سبحان الله، هناك مثل آخر: ترى اثنتين من النساء تمشيان إلى جانب بعضهما، واحدة محجبة والثانية ليست محجبة، تخرجان مع بعض، ولا يتكلمان في الدين، يتكلمان في أي شيء، والاثنتان كفة حسناتهم وسيئاتهم لا تتوقف، رآهما ألف واحد، هذه وضع في كفة حسناتها ألف حسنة، والثانية وضع في كفة سيئاتها ألف سيئة، أنت متخيل وهما يفعلان نفس الحركة ويقولان نفس الكلام وعداد الحسنات أو السيئات لا يتوقف، يا إخوة، تعلموا من الصحابة أن تكثروا من الحسنات.

خير البرية:

حديثنا عن علاقة سيدنا إبراهيم عليه السلام بالنبيّ ﷺ، كان النبيّ ﷺ جالساً فجاءه رجل فقال للنبي: يا خير البرية، فنظر إليه النبي وقال: **«خير البرية ذلك إبراهيم أبي»**، انظر لتواضعه ﷺ، مع أنه قال على نفسه: **«أنا سيد ولد آدم ولا فخر»**[1]، لكن لما جاءه واحد وقال له: يا خير البرية، قال له: لا، هذا إبراهيم وليس أنا، هل منا من يفعل ذلك، يقول لك: أنت أفضل إنسان في هذا المكان فبماذا ترد عليه؟ فتقول له: نعم، نعم صحيح أنا، لا تقول ذلك إنما قل: كيف عرفت؟ من قال لك؟ فالحقيقة نحن نتعلم هذا المعنى الجميل جداً وهو معنى التواضع.

لقاء في السماء السابعة:

لاحظوا هناك أمر آخر جميل جداً وهو أن النبيّ ﷺ لم يتكلم على سيدنا إبراهيم أبداً، إلا وقال: عليه السلام، النبيّ هو من يقول: عليه السلام، يقول صلوات الله عليه: أبي إبراهيم، الأجمل من ذلك يا إخوة أن من علاقة النبيّ ﷺ بسيدنا إبراهيم أنهما تقابلا مع بعضهما، أين؟ في المعراج، في السماء السابعة، عندما صعد النبيّ ﷺ، في المعراج فوصل للسماء السابعة

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 3148)، و(الحديث: 3615).

فشاهد البيت المعمور، البيت المعمور فوق الكعبة بالضبط، يقول النبيّ ﷺ: «**يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة**»، تخيل كل يوم سبعون ألفاً ويأتي غيرهم، إذن كم عدد الملائكة؟ أنت متخيل كل يوم يدخل سبعون ألفاً ولا يرجعون مرة أخرى فيأتي غيرهم، هل أنت متخيل السماء فوقنا كيف أن بها الكثير من الملائكة، ولذلك النبيّ ﷺ يقول: «**أطت السماء، أطت السماء**»[1]، يعني: أن السماء غير قادرة على حمل نفسها، مثل قوله لك لما تضغط على (باركيه) فيقول لك: إنه (طقطق) أطت السماء أي: أنها غير قادرة على حمل نفسها «**وحق لها أن تئط**»، لك الحق يا سماء، لماذا يا رسول الله؟ «**لأن ما فيها موضع ثلاثة أصابع إلا وملك راكع أو ساجد أو قائم بين يدي الله تبارك وتعالى، حتى تقوم الساعة، فيقومون من صلاتهم يقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك**»، انظروا لمنازل الحب التي نتكلم عليها، انظروا للملائكة، ملك ساجد من ألف سنة يا إخوة في السماء الآن يقول: سبحانك ما عبدتك كما تستحق أن تعبد، ماذا سنقول نحن يا إخوة؟

ولذلك يا إخوة إذا كان أهل الأرض لا يريدون أن يؤمنوا فالله غني عنهم، السماء ممتلئة بالساجدين لله تبارك وتعالى.

عندما عرج بالنبيّ ﷺ ووصل للبيت المعمور شاهد الملائكة وهي تطوف يقول: «**ثم نظرت فإذا رجل قد أسند ظهره إلى البيت المعمور، فقلت: من هذا يا جبريل، فقال: هذا أبوك إبراهيم**»[2]، أبوك، هذه هي علاقتنا به، ومطلوب منا أن نستشعر تجاه سيدنا إبراهيم أنه أبونا، وأنك إذا أحببته هذا الحب سترى كيف يحبك هو؟ وكيف أصبح الآن له علاقة مخصوصة بك أنت، وبكِ أنتِ، سيدنا إبراهيم له علاقة مخصوصة بي أنا؟ نعم، فقابل النبيّ، أنا أريد أن ألفت النظر أنه وجده سانداً ظهره إلى البيت المعمور كأنه يرتاح، لأن سيدنا إبراهيم تعب جداً في الدنيا، يا إخوة، نحن سنحكي قصة سيدنا إبراهيم في خمس أو ست مرات، تعب جداً ورأى أشياء صعبة جداً، مرة يلقى في النار، ومرة يقف أمام ملك، وكل جنود الملك يريدون أن يقتلوه، ومرة يترك ابنه وزوجته في الصحراء، ومرة يذهب ليذبح ابنه، ومرة يبني كعبة في وسط الصحراء، ومرة ينادي في وسط الصحراء ليدعو الناس ليأتوا ليحجوا، ويهاجر من بلد لبلد، وأبوه يؤذيه، وقومه يؤذونه، ما هذه الحياة الصعبة؟ حياة حافلة بالعطاء لله، صلوات الله وسلامه على سيدنا إبراهيم، فالتقى بالنبي ﷺ فقال له: «مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح»، انظر إلى حلاوة اللقاء، لقاء عالٍ جداً، فسلّم عليه

(1) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 2312)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 4190).
(2) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 409).

النبي ﷺ، النبي طوال صعوده في السمٰوات يقابل الأنبياء ويقولون له: مرحباً بالنبي الصالح فقط. ولم يوصوا النبيّ ﷺ بشيء وإنما سلموا عليه فقط، لكن سيدنا إبراهيم أوصاه وقال له: «**يا محمد، أقرىء أمتك مني السلام**»، وصية جميلة جداً، سلّم لي على المسلمين، تخيلوا وصلت الآن، يعني: هذا السلام من ألف وأربعمائة سنة، نعم من ألف وأربعمائة سنة، لكن هذا السلام يمتد عبر الأجيال كل من يقرأ هذه القصة يعرف أن سيدنا إبراهيم يسلم عليك، «**يا محمد، أقرىء أمتك مني السلام وقل لهم**: هذا سيدنا إبراهيم باعث لنا رسالة؟ نعم، ما هي يا ترى الرسالة التي سيبعثها لنا سيدنا إبراهيم؟ سيدنا إبراهيم سيقابل النبيّ ﷺ لمدة خمس دقائق ويريد أن يعطيه رسالة فما هي أهم رسالة تبعثها لنا يا سيدنا إبراهيم؟ اسمعوا يا إخوة وافتحوا آذانكم سيدنا إبراهيم باعث لكم رسالة، «**يا محمد، أقرىء أمتك مني السلام وقل لهم: إن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وإن غراسها** ـ تريدون أن تغرسوا شيئاً فيها ـ : **سبحان الله، والحمد لله ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر**»، انتهت الرسالة، لاحظت محتوى رسالة الحب؟ بماذا يذكرنا؟ يذكرنا بالجنة، يا إخوة، تذكروا الجنة كثيراً، الجنة هي الأمل في الحياة الصعبة التي نعيشها، الجنة هي الأمل أمام شباب يقاوم المعاصي وغير قادر على المقاومة، الشوق للجنة، الجنة هي الأمل أمام سيدة معذبة وحياتها صعبة مريرة، الجنة هي الأمل أمام شباب وفتيات لا يستطيعون أن يحيوا حياة طيبة نظراً لصعوبة العيش، الجنة هي الأمل أمام أناس لم تعد تشعر بحلاوة الحياة، والحياة بالنسبة لهم لم يعد لها طعم، البيوت لم تعد جميلة.

الجنة يا إخوة، الجنة التي سنغادر الدنيا ونذهب لها، الجنة يعني: السعادة الدائمة، الجنة يعني: لا يوجد حزن، ولا ضيق، لا بكاء، لا مرض، لا هم، لا غم، الجنة يعني: أنت وأصحابك، أنت والصحابة، أنت والتابعون، الجنة يعني: تمشين مع السيدة عائشة ﵂، وترجعين مع السيدة خديجة، الجنة يعني: الأنهار والتنزه والخروج واللعب والجلوس مع الصحابة، الجنة يعني: أنت وعائلتك مجتمعون حول الأنهار وتقولون للنبي: نحن نستضيفك اليوم عندنا بالليل يا رسول الله، أنت والصحابة الذين شهدوا غزوة أحد أو غزوة بدر، أنا أدعوك في قصري يا رسول الله، قصري تجري من تحته الأنهار، وبعد الأكل كل منا سيأخذ اليخت وننزل في النهر نلعب مع السمك ونصطاد سمكاً ونركض ونفرح، الجنة يعني: رؤية الله ﷻ، الجنة يعني: الله يكلمك كل يوم يقول لك: يا فلان أنا راضٍ عنك، يا ترى أنت راضٍ عني؟ الجنة يعني: السعادة الأبدية... هل نسيتم أم أن الدنيا شغلتنا جداً.

إنها الجنة، فلما أحب سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يبعث لنا رسالة قال: الجنة، يا محمد سلم لي على أمتك وبلغهم أن الجنة حلوة جداً، طيبة التربة، خضرة جميلة، أرضيتها لؤلؤ، عذبة الماء لا يوجد مياه أحلى من ذلك، وإن أردتم أن تغرسوا فيها، يعني: إن كنت تريد أن تجمل جنتك، النساء يحببن الديكور جداً تقول لك: أنا أريد أن أزين بيتي، ولو كان معي مال كنت عملت وعملت وعملت، أتريدين أن تزيني قصرك في الجنة؟ أتريد أن تجمل جنتك وتغرس فيها شجر مانجا وخوخ وعنب أتريد ذلك؟ أكثِر من: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، الواحدة بنخلة، إذن المائة يمكن أن يشق لك نهر، يا إخوة كل مرة تقولونها سيغرس لكم غرس في الجنة، وإن غرسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر.

أقرب الناس إليه شبهاً:

آخر علاقة بين النبيّ ﷺ وسيدنا إبراهيم عليه السلام أنه أكثر إنسان في هذه الدنيا شبيه بسيدنا إبراهيم! ليس إسماعيل ولا إسحاق تخيل، رسول الله ﷺ أكثر إنسان شديد الشبه بسيدنا إبراهيم، وذلك يظهر لنا جلياً من حديث صحيح للنبيّ ﷺ يقول في رحلة الإسراء والمعراج: **«عرض علي الأنبياء، فرأيت موسى ضرباً من الرجال»**، ضرباً من الرجال أي: متوسط الحجم لا هو بالطويل ولا هو بالقصير، بل متوسط بين الرجال، **«ورأيت عيسى ابن مريم عليه السلام فإذا أقرب من رأيت شبهاً له عروة بن مسعود»** هو رجل من المسلمين، **«ثم رأيت إبراهيم فإذا أقرب الناس إليه شبهاً صاحبكم»**، وأشار إلى نفسه، يعني: أنا، أنا أكثر شخص شبيه به، **«ورأيت جبريل عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبهاً دحية الكلبي»**[1]، سيدنا دحية أحد صحابة النبيّ ﷺ وكان صحابياً وسيماً جداً، لدرجة أن النبيّ ﷺ كان كلما أراد أن يبعث رسالة لملك من ملوك العالم، هرقل أو غيره فيرسل سيدنا دحية، فلما كان سيدنا جبريل ينزل في صورة بشر، أنتم تعلمون أن سيدنا جبريل أحياناً كان ينزل في صورة ملك ولا أحد يراه، وأحياناً ينزل في صورة بشر وكل الصحابة يرونه، فلما كان ينزل في صورة بشر ينزل في صورة من؟ سيدنا دحية، لدرجة أن الصحابة بعد ذلك أصبح الأمر مختلطاً عليهم، فيروا سيدنا دحية ماشياً يقولون له: أنت مَن؟ دحية أم جبريل عليه السلام؟ يا لسعادتهم عاشوا أياماً جميلة، ربنا إن شاء الله سيجمعنا بهم في الجنة.

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 422)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 3649).

بطاقة تعارف:

النقطة الأخيرة: تعالوا نتعرّف على سيدنا إبراهيم بلمحة سريعة: هو إبراهيم بن تارخ، أبوه اسمه: تارخ، أما آزر فهو لقب أبيه وسمي آزر مثلما ذكره القرآن؛ لأنه آزر قومه وأعانهم في صناعة الأصنام تخيل،ويرممها ويبيعها، كان تاجر أصنام، ستجدون من يقول: آزر أبوه أم عمه؟ أناس كثيرون مختلفون هل آزر أبو سيدنا إبراهيم أم عم سيدنا إبراهيم؟ يا إخوة، ماذا سنستفيد إن كان أبوه أو عمه هل هذا يهمك في شيء؟ عندنا قاعدة تقول: كل مسألة وكل موضوع في الدين لا ينبني عليه عمل فالخوض فيه ـ أي: التكلم فيه ـ من التكلف الذي نهينا عليه شرعاً، احفظوا هذه القاعدة يا إخوة، لا يوجد في الإسلام أننا نتكلم في مواضيع ليس لها قيمة، ليس عندنا في الإسلام من يقوم بتحضير دكتوراه في شيء ليس له قيمة، تحضر دكتوراه في «ماذا» في «حتى» مثلاً هذا أمر ليس له قيمة، بل تحضر دكتوراه في أمر له قيمة، وهذا معنى مهم جداً، فالإسلام يعلمنا أن نتكلم فيما يفيد، فأي واحد يسأل سؤالاً يجب أن يتحرى أولاً هل سيفيدني هذا السؤال؟ لن يفيدني، إذن لن أسأل، ماذا يفيدنا كون آزر أبوه أم عمه؟ ومع ذلك ستجدون في الكتب خلاف طويل هل هو أبوه أم عمه، أنا أقول لكم: رغم أننا لن نخوض في هذا الموضوع إلا أن الغالب في كلام الأئمة هو أبوه فعلاً؛ لأن القرآن في غنى عن اللف والدوران، قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ [الأنعام: 74]، وهو يقصد عمه، لا، فهو الغالب أنه هو أبوه، فيأتي أحد بشبهة ويقول: كيف هو أبوه وسيدنا إبراهيم جد النبيّ الكبير؟ إذن هناك واحد في عائلة النبيّ كان كافراً، لا توجد مشكلة! ما المشكلة؟ سيدنا نوح ابنه كان كافراً، وهو النبيّ. هل تظن أن الأجداد التي قبل النبيّ كانوا كلهم مسلمين ولم يكن فيهم أناس عبدت الأصنام! بلى كان فيهم لكن كان يغلب عليهم الأخلاق العالية كانوا يتزوجون ولم يكن بينهم معاص أو فضائح.

المنبع واحد:

سيدنا إبراهيم عليه السلام جاء ذكره في القرآن، كم مرة؟ تسعة وستين مرة في خمسة وعشرين سورة، جده الأول من؟ جده الأول سيدنا نوح يعني: سلسلة سيدنا إبراهيم سام بن نوح، فجده الكبير سيدنا نوح، ولذلك القرآن يقول لك: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [الصافات: 83]، التي هي سيدنا نوح، ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾ كلمة شيعته: يعني: أنه رباه على يديه، يعني لما أقول: أنا من شيعة فلان يعني: أنا آخذ بيده، وهل ربى سيدنا نوح سيدنا إبراهيم؟ لا بينهما آلاف السنين، إذن لماذا قال ذلك؟ المنبع واحد، المعين واحد، شربوا من مياه واحدة، نفس الأخلاق، نفس التربية، نفس العبادة، وإن من شيعته لإبراهيم.

لا عذر لك:

أين عاش إبراهيم؟ أين نشأ؟ نشأ في العراق، في مدينة بابل وهي لم تكن مدينة صغيرة، إنها ليست قرية إنها مدينة عظيمة، كانت مشهورة بصناعة الأصنام، ومن هو المتخصص في صناعة الأصنام في هذه المدينة الكبيرة؟ أبوه، وماذا نستفيد من ذلك من قولنا: إن أباه هو الذي كان يصنع الأصنام و.. و..؟ كأني أريد أن أوصلكم لشيء، يوجد كثير من الشباب آباؤهم مسلمون ومحترمون لكن لا يعينونهم على طاعة الله أليس كذلك؟ فيقول الشاب: أنا أهلي لم يساعدوني، أنا لو كان أهلي ساعدوني على التدين لكنت أصبحت ملتزماً، ليس لك عذر، لماذا؟ لأن سيدنا إبراهيم كان وضعه أصعب منك بكثير، أقول لك: إنه ألقي في النار وهو عمره ست عشرة سنة، ليس لك عذر، ومن المعلوم أنه لم يكن نبياً منذ بداية نشأته، ونشأ في بيت كله يعبد الأصنام، أنت نشأت في بيت مثله أم لا؟ بل نشأت في بيت مسلم والحمد لله وأحسن من ذلك بكثير، ليس لك عذر.

يا إخوة يا شباب، لا ينفع أن يكون عذر أحدكم أنه يقول: أنا لا أستطيع أن أكون متديناً؛ لأن بيتي لم يساعدني على ذلك، ليس لك عذر، سيدنا إبراهيم نشأ في بيئة أصعب من بيئتك ولم يكن من البداية نبياً.

الفتاة التي تقول: إن أبي وأمي يرفضون فكرة الحجاب، ولا يساعدونني على ارتدائه، لا بد أن تحاولي وتصبري وتصري، الشاب الذي يقول: أنا كلما أردت أن أتدين بيتي وجيراني وأصحابي يرجعونني إلى الوراء، لا بد أن تنجح، واستعصم بالله وادعوه، لو كنت رجلاً في كلمتك وصادقاً في نيتك سيقف بجانبك، وأنت يا أختي، أتظنين أن الله سيتركك إن كنت تريدين أن تتحجبي؟ لن يتركك الله، هناك فتيات كثيرات يقلن: أريد أن أتحجب لكن لا أستطيع، اصبري وعليك بالدعاء لله وبري أباك وأمك وكوني شديدة العطف عليها، وأصري على موقفك وتقرّبي من الله، بإذن الله سيعينك.

أيعقل يا شباب أن أحداً يلجأ إلى الله والله يتركه، معقول هذا؟

أين الرشد يا شباب؟

النقطة التالية بعد ذلك: وهي أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يسجد لصنم أبداً، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنبياء: 51]، آتينا إبراهيم رشده يعني: أنه منذ أن ولد وهو ناضج وعاقل، سن الرشد عندنا كم سنة؟ واحد وعشرون أم ثلاثة عشر أم ستة عشر؟ يوجد أناس عمرهم ثلاثون سنة ولم يبلغوا سن الرشد!

هناك من عمره خمسة وعشرون سنة وكل همه سيارة أو محمول يشتريهما، أو فتاة يسير وراءها، هناك فتيات بلغن سن الثلاثين وكل قضيتها أنها تتزين أمام المرآة... أهذه قضية حياة؟ أخلقت لأجل ذلك؟ الله وضع الروح بداخلك لأجل هذا؟ هذه ليست قضايا يا إخوة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ من قبل يعني: منذ صغره، هناك شاب في سن الثماني عشرة، يشتري سيجارة ويشربها، باعتقاده أن الفتيات ستعجب به على أنه رجل، أبداً لم تكن هذه هي وسائل الرجولة، تريد أن تبلغ سن الرشد؟ بلوغ الرشد بالهداية، بالصلة بالله، هل هناك أكثر من أنك تريد أن تدخل الجنة؛ لأنها هي المستقبل الحقيقي؟

يا إخوة، الرشد ليس بالشكل الجميل أمام الفتيات، الرشد ليس بسيجارة، الرشد يا إخوة أن تكون عاقلاً، الرشد أن تعرف مدى بقاء هذه الدنيا، في النهاية جنة أم نار، أنا سأختار الجنة هذا هو الرشد الحقيقي، الرشد أن تكون طيباً عاقلاً، الرشد أنك تريد أن تدخل الجنة، هذه كلمة للشباب الذين يفهمون معنى الرشد بطريقة خاطئة.

لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة:

هناك ملحوظة ثانية: سيدنا إبراهيم عليه السلام أنجب ولدين هما: إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، ملحوظة عجيبة جداً، من المعلوم أن كل الأنبياء الذين جاؤوا بعد سيدنا إبراهيم من ذرية إبراهيم، كل الأنبياء الذين من ذرية إبراهيم جاؤوا من إسحاق، الوحيد الذي جاء من ذرية إسماعيل هو النبيّ ﷺ. النقطة التالية: أن الله أنزل على سيدنا إبراهيم كتاباً، من الذين أنزل إليهم كتب سماوية؟ قلنا: سيدنا داود وإدريس وآدم وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم، لكن هناك معلومة لا أحد يعلمها وهي أن كل الأنبياء كان ينزل عليهم كتابهم مرة واحدة، الوحيد الذي نزل كتابه منجماً، يعني: مجزّءاً هو النبيّ ﷺ لماذا؟ لأن الله أراد أن يكون منهجاً لتربية الأمة، منهج تدريجي، يرتفع بالناس خطوة خطوة، انظروا لحلاوة القرآن، إنه نزل على مراحل حتى يحل أي مشكلة تظهر، لدرجة أن الكفار استغربوا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: 32]، مثل الصحف الأخرى ومثل الأنبياء الآخرين فقال الله تبارك وتعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: 32]، نزلناه منجماً حتى يتعلم كل واحد أمراً جديداً، فكانت الناس تتفاعل كثيراً، ينزل أولاً في شأن الخمر: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: 129]، فسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول: يعني حلال أم حرام؟ فتنزل الآية: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: 43]، يعني: قللنا الأمر انظروا كيف أنه يرتفع بالبشر ويرتقي بهم ثم تنزل آخر آية: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ

﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: 90]، فامتلأت شوارع المدينة بالخمر كأنه المطر من كثرة الخمر الذي ألقي، لو نزل الأمر مرة واحدة لما استطاعوا الامتناع عنها، انظروا إلى هذا المنهج التدريجي، وأنت أيضاً تدرج في تدينك، اصعد خطوة خطوة، المهم أن تكون دائماً في زيادة، إياك أن تفتح مرة واحدة فتسقط مرة واحدة، خذ نفسك بالتدريج، ينزل الحجاب أولاً بعفاف النساء، وينزل الأمر بالاستئذان بالدخول على النساء حتى تنزل آية الحجاب، ونزلت بالليل حتى أن المرأة كانت تشق من ثيابها قطعة لتضعها على رأسها، لا تنتظر كسوة الشتاء لشراء ملابس جديدة.

أربع ساعات:

ماذا كان في صحف إبراهيم؟ هل هناك شيء باق من هذه الصحف؟ نعم بعض آيات من القرآن، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [النجم: 38 ـ 45]، هذا الكلام كان مكتوباً في كتب إبراهيم عليه السلام، انظر إلى رقة هذا الكلام، وسيدنا أبو هريرة مرة سأل النبيّ ﷺ: يا رسول الله، ماذا كان في صحف إبراهيم؟ فقال النبيّ ﷺ: **«كانت أمثالاً كلها»**[1]، يعني: لم تكن تشريعاً، كانت عظات وعبراً، وكان منها: على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه ـ لا بد من الدعاء والمناجاة ـ وساعة يحاسب فيها نفسه ـ وأنت داخل سريرك حاسب نفسك على ما قدمت في يومك ـ وساعة يتفكر فيها في صنع ربه، وساعة يخلو بها بنفسه.

وما الفرق؟

أول مرحلة في دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت دعوته لأبيه، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: 41، 42]، الأب المصر على العصيان، المصر على الأصنام، انظر لقول إبراهيم مخاطباً له: يا أبت، وهناك فرق بين قولنا: أبي وأبت، فالثانية تعطي شعوراً بالحنان وتعطي شعوراً بالعاطفة، أبتِ أي: أنا ابنك، أنا ملكك، ليس لي غيرك، مع أن أباه كان كافراً يعبد الأصنام.

---

(1) ذكره القرطبي في «تفسيره» (20/ 25)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (2/ 424).

الشباب الآن يعامل أبويه معاملة سيئة مستعيناً بقوله: لأن أمي تغضب علي كثيراً وأبي يفعل كذا وكذا، إذن علينا أن نتعلم من سيدنا ابراهيم عليه السلام الأدب الشديد في دعوة الأهل.

لنتكلم بصراحة، هل نحن نقوم بواجب الدعوة المطلوب تجاه آبائنا وأمهاتنا؟ تتمنى لو أن والديك يكونان من أعظم الناس تديناً، أظهر لهما حبك وحرصك عليهما، تعلم ذلك من سيدنا إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾.

إبراهيم ومدخل العقل:

نلاحظ أن سيدنا إبراهيم أول ما بدأ يكلم أباه دخل له من مدخل العقل، انظر إلى هذه الأمثلة: والدتك لا تصلي إذا تشاجرت معها هل ستصلي؟ بالطبع لا، ما رأيك أن تحضر لها هدية؟ أخوك لا يصلي لو مات كيف يكون حاله؟ لو شخص من أعز أقاربك يشرب الخمر أو يزني، كيف تكون النتيجة؟ لا بد أن تتعامل مع الموقف بهدوء من منطلق أنك خائف على هذا القريب وتحب له الخير، لو مات كيف يكون حاله؟ سيدنا إبراهيم عليه السلام تكلم هذا الكلام وعمره ستة عشرة سنة، نصيحتي لكم: لا تكلمهم في الدين لمدة شهر وعليك أن تظهر لهم حبك بمعنى أن تتودد لأمك أو تحضر لها هدية.

وسائل دعوية:

من أكثر الأشياء المؤثرة في النفس الهدية. ودليلنا قوله ﷺ: **«تهادوا تحابوا»**[1]، فلزيادة الحب تهادوا وأحياناً تكون الهدية الرمزية مؤثرة أكثر بكثير من الهدية الغالية، تريد أن تؤثر في والدتك أو في أختك؟ عليك أن تتغاضى عن أخطائهما، أحبهم وعندما تراهم ابتسم لهم، النبيّ ﷺ يقول: **«تبسمك في وجه أخيك صدقة»**[2]، ابتسم وكن مبتسماً وكن حنوناً لا تضايقهم وبعد ذلك اجلس وتكلم مع والدتك بالعقل، يا أمي لماذا لا تصلين؟ ألا تعلمين يا أمي أن هناك باباً في النار اسمه: سقر، مخصص لتاركي الصلاة وأن هذا الباب من أشد الأبواب في جهنم؟ وتتكلم من قلبك، أنت من خلال الآيات ستحس أن سيدنا إبراهيم عليه السلام روحه هي التي تتكلم، انظر إلى قوله مثلاً: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ

---

(1) أخرجه **البيهقي** في «السنن الكبرى» (الحديث: 6/ 169)، وأخرجه **المنذري** في «الترغيب والترهيب» (الحديث: 3/ 434).

(2) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 1956).

مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾، الآية التي تليها: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ [مريم: 43]، هذه الآية فيها نوع من الأدب العالي جداً، هو يمكن أن يقول لأبيه: يا أبت، أنت جاهل وهو فعلاً جاهل لكنه لا يريد أن يقول له: أنت جاهل أما أنا فعالم، لا يريد أن يقول له: أنا متعلم أكثر منك وأنا أفهم أكثر منك فقال له: إني قد جاءني، يعني: ليس أنا مَنْ جئت به وإنما هذا فضل من الله، أنا مثلي مثلك لكن أنا جاءني من العلم بعض العلم، يريد أن يحسسك أن هذا العلم هو ليس له فيه يد، هو لا يتكبر على أبيه، هناك شاب يذهب لأبيه ويقول له: سنصلي معاً يا أبي وعندما يقنع أباه بالصلاة يقول الأب: من الإمام؟ فيقول الابن: أنا يا أبي، أنا أحفظ أكثر منك من القرآن.

لا يا إخوتي، هو من يكون الإمام وليس أنت، ولو أنك تحفظ أكثر منه، إلا إذا أصر أن تصلي أنت فهذا موضوع آخر.

انظر لسيدنا ابراهيم وهو يراعي مشكلة اسمها فرق السن، فإن كنت تريد أن تأخذ بيد أهلك فإياك أن تتكبر عليهم، إياك أن تتعامل معهم بطريقة «أنا الذي أعرف كل شيء».

مثلاً تقول: أنا أحضر درساً تعالوا اسمعوا بعض ما فيه، والله يا إخوتي تعلمت بعض الأشياء القليلة من العلم فتعالوا نتدارسها معاً، فاتبعني أهدك صراطاً سوياً، ولماذا استخدم «اتبعني أهدك صراطاً سوياً؟» كأنه يقول له ويعرض عليه بأنك يا أبي، لو أنا وأنت نمشي في شارع وأنا أعرف الطريق إذن أنت ستتبعني، ولذلك قال له: فاتبعني كأنه طريق وهما ماشيان فيه، أنا أعرف الطريق فتخيل لو أنت ووالدك تمشيان في طريق وأنت تعرف الطريق، ليس عيباً أنك تعلم أكثر من أبيك.

يا أخي، لو لك أب أو أم بعيدان عن الله عاملهما بحنان شديد، بحب شديد، بلطف شديد، برقة شديدة، وإياك أن تتكبر عليهما وتبين لهما أنك تعلم أكثر منهما.

بر والديك ولو كانوا كفاراً:

سيدنا إبراهيم عليه السلام يخاطب أباه بشكل مبطن: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾، يا أبت، انظروا لقد وضع في بداية كلامه: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾، هناك شباب عندما يتكلم مع أبيه أو أمه يقول: أنت لم تعمل، أنتَ، أنتِ، ألا تستطيع أن

تقول له: يا والدي، من فضلك، وهذا أمر مهم في بر الوالدين، الإمام الشافعي عندما كان يجلس مع أمه ليأكلا من طبق واحد كان يظل جالساً لا يأكل فتقول له: لماذا لا تأكل؟ فيقول لها: سآكل، وهي تأكل، لم يكن يأكل معها رغم أنه كان جائعاً جداً، حتى تنتهي هي من أكلها ثم يبدأ فيأكل فقالت له: لماذا تفعل ذلك؟ قال: أخاف أن تسبق يدي يدك إلى لقمة فتحبينها فأكون عاقاً لك.

أحبتي لدينا مشكلة في قضية بر الوالدين، فهي كارثة في حياتنا، ربما تكون عندك حسنات والله غضبان عليك؛ لأن أمك في البيت كانت غاضبة عليك ولا تكلمك، أنا أتساءل كيف تستطيع أن تخاصم أمك يومين وثلاثة؟ كيف يمكن لفتاة أن ترفع صوتها على أمها؟ كيف تتكلم مع أبيك أو أمك دون أن تقول لهما: حضرتك؟

تعلموا من سيدنا ابراهيم انه كان لا يستطيع أن يتكلم الا ويقول في بداية كلامه: يا أبت.

هناك شيخ كبير كان يقول لي: احذر من «القِربْة التي تشرّ حسنات»، أقول له: ماذا تعني؟ فيقول لي: احذر من عقوق الوالدين، عقوق الوالدين مهما كنت تقياً وعابداً وتصلي ليل نهار لكنك ستكون كالقربة المثقوبة لا شيء يثبت فيها أبداً كله يقع، لا توجد حسنة تثبت؛ لأن الأب غير راضٍ والأم غير راضية. احذروا يا شباب من كان منكم يعلم أنه عاق لوالديه فعليه أن يطلب منهما السماح، ويتقي الله فيهما، لأن برهما هي قمة العبودية.

عبادة الشيطان:

قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤﴾ [مريم: 42 ـ 44]، لنتساءل هل أبوه كان يعبد الشيطان؟ لا طبعاً! لماذا إذن قال له ذلك؛ لأن الإصرار على معصية الله هي عبادة للشيطان هذا تعريفها، ولذلك كلمة عبدة الشيطان التي عُرفت من أكثر من سنة في بلادنا ليست هي كذلك، وإنما هي عبادة ثانية له وهي أنك تظل مصراً أن تعصي الله، فتكتب يوم القيامة من عبدة الشيطان، أترضى بذلك؟ تخيل حديث النبيّ ﷺ يقول: **«إنه ينادى يوم القيامة ليقف كل إنسان خلف من عبده»**، كل شخص وراء الشيء الذي عبده، فتجد واحداً واقفاً وراء ماله **«تعس عبد الدرهم»**، وتجد من يقف وراء الشيطان، يا رب لماذا جعلتني وراءه أنا لم أعبده؟ قال: لكنك طوال عمرك كنت تتركني وتذهب لتنفذ كلامه هذه عبادتك إياه، قف وراءه.

تخيل حزن قلبك وذلّك وأنت واقف وراء الشيطان وهو ينادي: واثبوراه، يا ويلتي يا ويلتي، وكل من يقف وراءه سيقول: واثبوراه، واثبوراه، أعوذ بالله ليس نحن إن شاء الله، فيناديهم الله تبارك وتعالى: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: 14]، ليس مرة واحدة وإنما سيقولون كثيراً وسيكون الويل سنين طويلة تقول: يا ويلي يا ويلي، ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [مريم: 44]، انتبهوا يا شباب، أن الشاب الذي لا يستطيع أن يقاوم فتنة النساء وترك عينيه مطلقة ولا يعلم أن نظر الله إليه أسبق من نظرة عينه إلى الحرام، الشاب الذي يجري وراء المعصية الفلانية وكذا وكذا وكذا، الفتاة التي لا تستطيع أن تقاوم الموضة وبعيدة كل البعد لن نقول عن الحجاب وإنما عن اللبس المحتشم، ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾، الذي يعرف فتاة والذي لا يصلي والذي يشرب كل هذه المعاني تندرج تحت هذه الآية.

عاطفة حياشة:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾، عصياً أم عاصٍ؟ عصياً يعني: لا أمل في عودته: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [مريم: 45]، تحسون بعاطفة سيدنا إبراهيم عليه السلام؟ هل تحسون بحبه لأبيه؟ انتبهوا لأمر هام وهو أن سيدنا إبراهيم أظهر عاطفته ولم يخفها، انظر للآية التالية والجملة الأخيرة: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾، أتعلمون معنى ما يقوله باللغة العامية؟ يا أبي، يا أخي، يا أمي، أنا لا أتحمل أن أرى أحدكم يتعذب في النار، لاحظ أن الكلام يمتلىء بالحنان الشديد، ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ﴾، مجرد اللمس عذاب من الرحمٰن ولم يقل: عذاب من الجبار مع أن المفترض أن يقولها، لكنه غير قادر أن يقولها، وذلك حتى يهدىء من شدة الكلام، أي أنه لم يقل له: ستدخل النار، فإياك أن تفعل ذلك، أنت يا أبي لو مت على ذلك ستدخل النار، أنا أعلم ماذا أقول لك، إياك أن تقول لأبيك هذا الكلام أو تفعل ذلك إنما انظر لسيدنا إبراهيم وماذا استخدم؟ استخدم كلمة الرحمٰن حتى يخفف عن أبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ﴾، لم يقل النار ولم يذكرها نهائياً: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، لماذا يا سيدنا إبراهيم عليه السلام استخدمت كلمة الرحمٰن؟ لاحظتم أنه يدور مع أبيه ويحسب كل كلمة ماذا سيكون وقعها؟ أتستطيع أن تقول كلاماً جميلاً مثل سيدنا إبراهيم؟

تعلّم لو أنك لا تعرف أن تقول ذلك، ستقول لي: ثقيلة على قلبي وهم لم يعتادوا مني ذلك، ابدأ خطوة خطوة، اليوم هدية وغداً ابتسامة وبعد غد قبلة يد، ثم تدعو والدتك

للخروج إلى مكان تحبه وترتاح إليه، ستقول: إنك جُننت وستقول: ماذا تريد مني مقابل أن تخرجني؟ لكن تحمل؛ لأنك تريد منها مقابلاً وهو أنك تبتغي لها أن تدخل الجنة، وأن ترضي الله، علمونا أن الجنة مرتبطة برضاكِ، النبيّ ﷺ هو الذي علمنا ذلك، قال لنا: إن الجنة تحت رجليكِ، فأنا أشاهد الجنة تحت رجليك، فأنا أتقرب إلى الله برضاك عني وأكون أيضاً من أهل الجنة.

مسكين من يموت وهو عاق لوالديه:

إياك أن تنام ووالديك غاضبان عليك، ولو ناما أيقظهما، لأنك لو مت هذه الليلة أو لو هما ماتا سيكون حالك غاية في السوء، أنت محتاج لتكفير ذنوب عظيمة جداً، هي من أكبر الكبائر وعلى رأسها عقوق الوالدين، وقبلها ترك الصلاة وهي أكبر الكبائر في الإسلام.

أتخاف النار؟

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ۝٤٥﴾، دعوني أسألكم: هل منكم من يخاف أن يمسه عذاب النار، شباب كثيرون يجعلون النار والعذاب مجالاً للضحك ويقولون لبعضهم البعض: كلنا سندخل النار، كلنا نعرف مصيرنا.

أتعرفون معنى مس النار؟ يقول النبيّ ﷺ: **«إن الله أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة»**[1].

اخواني، اياكم أن تقولوا: نحن مصيرنا النار وسندخلها حتماً، نحن نتمنى ألا نسمع حسيسها، ونتمنى ألا نراها البتة وعندنا أمل في ذلك..

أيها الأحبة، ربنا يصف الشرارة من النار مجرد شرارة فيقول: ﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ۝٣٢﴾ [المرسلات: 32]، الشرارة من النار مثل مساحة القصر، هل أنت متخيل هذا التشبيه؟ ﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ۝٣٢﴾، فتخيل شرارة دخلت فيك ولمستك مجرد لمسة هل تطيق ذلك؟ إنها تشبه الوحش الكاسر الذي يريد أن يلتهم البشر، ويوم القيامة تجد الأنبياء يجلسون على ركبهم ويقولون: يا رب سلّم، يا رب سلّم، يمسك هذه كلمة ثقيلة يا

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2591)، و(الحديث: 2591م)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 4320).

إخواني، يقول النبيّ ﷺ: «**ناركم التي توقدون عليها في الدنيا جزء من سبعين من نار الآخرة**»[1].

شعلة النار العادية هل يستطيع أحد أن يتحمل نارها لمدة ربع دقيقة؟ تضع كف يدك على فرن الغاز أتقدر على ذلك؟ ولو قدرت كم ستظل معذباً بيدك بعدها؟ تخيل لو انغمست مجرد غمسة واحدة في جهنم ماذا سيحدث لك، يقول النبيّ ﷺ: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا ـ أكثر واحد تمتع في الدنيا ـ وهو من أهل النار فيغمس غمسة في جهنم ثم يقال له: هل رأيت نعيماً قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما رأيت نعيماً قط**»[2]، أنا لم أتمتع أبداً مع أنه كان أكثر أهل الأرض نعماً!

نفور أب:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ۝٤٥﴾، وانظر إلى رد فعل الأب بعد كل هذا الكلام الجميل: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ۝٤٦﴾ [مريم: 46]، لا أريد أن أرى وجهك اغرب عني، واهجرني هجراً تاماً، يا ترى لو حدث معك هذا الكلام فكيف سيكون رد فعلك؟ ستقول: أنتم لا ينفع معكم شيء، أنا سأفعل وأفعل، هناك شباب يظل مؤدباً وهو يعرض وأول ما يرد عليه برد عنيف أو قاس ينقلب إلى وحش، لكن انظر هنا لسيدنا إبراهيم والرد الجميل بعد رد أبيه المتشنج: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ﴾ [مريم: 47]، ما معنى سلام عليك؟ أي: لن يصل إليك مني يا أبي أي أذى، لك مني كل السلام، لك مني كل الحب.

يا إخوة، راعوا علاقاتكم مع آبائكم وأمهاتكم، أريد منك أن تسأل نفسك: أين أنا من أدب سيدنا إبراهيم؟ ربنا يقول: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ [البقرة: 130]، الذي لا يسير على سُنَّة سيدنا إبراهيم هو سفيه، راجعوا أموركم هناك شباب وفتيات بالذات يقولون: أمي عصبية جداً ومهما فعلت معها تغضب. وما الحل إذن؟ الحل أن تقلد سيدنا إبراهيم، اصبر وليكن لك في إبراهيم أسوة حسنة، لكن أمي ما زالت عصبية، لا شيء عليك، لكن هي تدعو علي ليل نهار، لا شيء عليك، لن يقبل الله منها هذا الدعاء، أما لو كانت الأم محقة في دعائها فإن دعاءها سيستجاب فوراً، أنا أعرف أمهات دعت على ابنها يا رب انتقم منه وكان يستحق، فيقول الابن: لم تمض ثلاثة أيام حتى كنت راقداً في المستشفى لا أتنفس، ثم شفاني الله وعافاني، وأصبحت أعمل على إرضائها.

---

(1) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 2589).

(2) أخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 3/ 203)

احذروا دعوة الآباء والأمهات، وأقول للآباء والأمهات: لا تدعوا على أولادكم حتى لا يوافق دعاؤكم ساعة إجابة.

الأنبياء والاستغفار:

قال تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ﴾ [مريم: 47]، ما حكاية الاستغفار هذه؟ لاحظتم أن كل نبيّ لا بد أن يذكر الاستغفار، لماذا؟ لأن للاستغفار حلاوة خاصة قبل الفجر: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: 17]، أحلى استغفار في حياتك وتحس به وأنت تقول: أستغفر الله أنها تمسح ذنوبك، الصحابة كانوا يحرصون على هذا الأمر، سيدنا عبد الله بن عمر ﷺ كان يسأل الخادم: هل جاء وقت السحر يا نافع؟ فيقول: لا، فيظل يصلي حتى يقول له الخادم: نعم، فيترك الصلاة ويقعد يقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله. لاحظتم أن الاستغفار محور من المحاور الرئيسية في حياة كل نبي.

هل احتفى بك الله؟

قال تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾.

ما معنى كلمة حفياً؟

هي من الحفاوة يعني: يظل يكرمك ويكرمك حتى لا تعرف كيف تشكره، هل شعرت طوال عمرك بحفاوة الله بك؟ ابحث في حياتك ستجد أن الله احتفى بك كثيراً وأنت لا تستحق. يمكن أن يهيىء لك القيام بعمرة وأنت عاصٍ قبلها أو أسمعك كلمة وهداك بها أو أحضرك إلى درس علم وأنت لا تستحق لذنوبك الكثيرة، أو رزقك أو زوجك لكنها الحفاوة والكرم، ولكن عليك أن تقرأ هذه الرسائل الربانية لتستفيد منها. ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: 48]، وهنا نقف وقفة أيهما أسوأ الهجر أم الاعتزال؟ يعني: سأترككم فترة لكن الهجر ترك نهائي ثم إنه لم يقدر أن يقول له: وأعتزلك، إنما قال بصيغة الجمع «وأعتزلكم» أدباً مع والده.

انتبهوا، والد سيدنا ابراهيم كان كافراً، فما بالك بآبائنا وأمهاتنا المسلمين؟

وللأسف، فإن آزر لم يُجد معه كل ذلك، عاش كافراً ومات كافراً، جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: أن النبيّ ﷺ يقول: **«يلقى إبراهيم أباه يوم القيامة وعلى وجه آزر** ـ أبو سيدنا إبراهيم ـ **غبرة وقطرة فيقول له إبراهيم: يا أبت، ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول له أبوه: اليوم لا أعصاك يا إبراهيم فيقول إبراهيم: يا رب، وعدتني أنك**

لا تخزني يوم يبعثون، وهل الخزي أشد من أن أخزى في أبي؟ فيقول له الله تبارك وتعالى: يا إبراهيم، إني حرمت الجنة على الكافرين»[1].

يا أخواني، أليست طاعة الله في الدنيا أفضل من المهانة والعذاب في الآخرة؟

سيدنا إبراهيم لم يقدر أن يشفع لأبيه، والنبيّ لم يقدر أن يشفع لعمه أبي طالب. لا توجد مجاملات عند الله تبارك وتعالى، وصيتي لكم يا شباب: من كان له أب أو أم لا يصليان ـ بالله عليكم ـ عليه أن يقبل أيديهما ويقول لهما: لا تتركا الصلاة.

عكوف معنوي:

وفي سورة «الأنبياء» يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنبياء: 51، 52]، كلمة عاكفون أحياناً يقصد بها العكوف المكاني وأحياناً يقصد بها العكوف الزمني، أنتم تعرفون الاعتكاف في المسجد ما معناه؟ تجلس بداخل المسجد، فهل هم لابثون بجوار التماثيل ليل نهار؟ هو يقول لهم: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون عكوفاً معنوياً بمعنى: أن عقولهم وقلوبهم مع هذه التماثيل ليل نهار، هناك بنات عاكفات على الموضة نجدهن يصلين، وذهنهن مشغول بآخر صيحة في عالم الملابس والموضة والملابس التي تلبسها وماذا ستلبس اليوم عند الخروج، أو آخر مستحضرات التجميل حتى أنها عند الوضوء لا تقدر أن تزيل طلاء الأظافر، وبالتالي فصلاتها باطلة، لأن طلاء الأظافر منع وصول الماء إلى الأظافر، وضوء غير صحيح وبالتالي صلاة غير صحيحة، فيمكن أن تترك الصلاة من أجل طلاء الأظافر فيكون أغلى عندها من الصلاة!

وهناك من يصلي وعقله في المباراة، هو أيضاً عاكف على الكرة حتى وهو يصلي، وربما لو سمع الأصوات قد ارتفعت سيخرج من الصلاة، ويمكن لو سمع ضجة الهدف سيخرج من الصلاة، وقد تجد رجل أعمال عاكف على عمله حتى لا يصلي، يفكر في الصفقة الفلانية وماذا سأفعل فيها؟ ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾، انظروا لردهم السيىء عليه: ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنبياء: 53].

---

(1) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (3/ 90)، و(5/ 90)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (1/ 142).

لا تكن إمّعة!

الحقيقة هذه نقطة ثانية وهي أن هؤلاء هم أهلنا فماذا سنفعل؟ تعودنا على ذلك، هذا أبي وعمي وجدي كلهم كانوا يعملون ذلك سأضرب لكم مثلاً، الفرح في حد ذاته في الإسلام حلال، لكن الذي يحدث في الأفراح حيث ترى الناس تنظر للعريس والعروسة ويبدؤون بالكلام والنميمة والغيبة على الناس والتعليق على بعضهم البعض، هنا يبدؤون حياتهم بمعصية؟ لماذا كل هذا؟ لأن أهلنا يعملون ذلك وما يهمهم هو ماذا سيكون شكلنا في العائلة، العائلة كلها معتادة على هذه الأفراح التي يجب أن تقوم عليه راقصة.

يا أحبابي، لا أقول إن الفرح حرام بل هو حلال أن تعمل فرحاً والعائلتان يفرحان بالعريس والعروسة لكن كم سندفع؟ ماذا سيحدث فيه؟ هل سيكون فيه المعاصي أم لا؟ وهل سنرقص أم لا؟

ولذلك أول مرة سيدنا إبراهيم عليه السلام يتكلم بلهجة عنيفة انظر كل الكلام كان رقيقاً وهذه هي أول مرة يتكلم بلهجة عنيفة عندما قالوا له هذه الكلمة، اسمع الآية التي تليها: ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنبياء: 53، 54]، أول مرة أليس كذلك؟ لماذا يا جماعة؟ أيعقل أن تلغي من رأسك قمة الجمود العقلي وأن تقول: أنا ليس لي علاقة بهذا الأمر إن كان حلالاً أم حراماً المهم أنا أقلد أهلي المهم أن أصحابي يفعلون ذلك فسأفعل أنا أيضاً مثلهم؟ يوجد أصحاب يقلدون أصحابهم في كل شيء. هم يعاكسون فأنا غير قادر أن لا أقلدهم، هو أصبح متديناً لكنه يخجل أن يبوح بذلك لأهله وأصحابه؛ لأن كل الناس تفعل ذلك، يقول النبيّ ﷺ: **«لا يكن أحدكم إمعة»**، إياك أن تصبح إمعة أي: من دون ذات وشخصية، **«يقول إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم** ـ أي تمسكوا بدينكم ـ **فإن أحسن الناس أحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا»**[1]، تستطيع أن تسير على هذا المنهج النبوي بدلاً من أن تقول: نحن أهلنا يفعلون هذا فيجب أن نفعل مثلهم حتى لو كان حراماً، لا ليس ضرورياً أن تفعل مثلهم.

تشكيك واختبار:

الآية التي تليها: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنبياء: 55]، أنت تهزء بنا، مثلما قد يقال لك: كم سنة لديك يا بني لتقول لنا هذا الكلام؟ أنت ستعيش دور

---

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2007).

الشيخ، أنت يا أخي نسيت السنة التي مضت ماذا كنت تفعل، لأنك حضرت درسين أو ثلاثة ستتكبر علينا بهم، أنتِ ماذا تلبسين على رأسك ما هذا الكلام الفارغ؟ انظري لشكلك، ونحن كلنا مثل بعضنا وأنت الوحيدة الكئيبة في وسطنا، ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾.

يا ترى أنت من الذين يهتزون أم أنك ثابت؟ يا ترى لو وجدت كل أصحابك يضحكون عليك ماذا ستفعل؟ أم أنت من اللاعبين؟ أسلوب استهزاء شديد، أتصدقون أنه يوجد فتيات تشك في حجابها عندما تجد الكثير يرفض حجابها، ما هذا الحجاب يا بنيتي؟ ما الذي فعلتيه في نفسك أنتِ ما زلت صغيرة، أعرفتم لماذا يختبر الله عباده؟ ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت: 2]، أتظنون أننا سنترككم تقولون: آمنا وندعكم دون أن نفتنكم وتقول: يا رب، يا رب، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: 3]، ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥﴾، فرد عليهم بالآية التالية: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٦﴾ [الأنبياء: 56].

انظر للقوة، قوة شباب عنده ستة عشرة سنة انظر متانته وقوته؟ تريد أن تكون مثله؟ بل تتمنى أن تكون مثله، ولتصل لذلك تحتاج إلى بعض الأشياء، تحتاج إلى عبادة، تتعبد أكثر، لأنك كلما تعبدت كلما زاد ارتباطك بالله أكثر، صلِّ أكثر، قم وصلِّ صلاة التهجد، اقرأ القرآن، تعلم التجويد، واجعل صديقك متديناً، لا تصاحب أناساً بعيدين عن الله، إياك من صحبة الفاسقين والضائعين والعصاة، افعل هذين الأمرين وستجد نفسك أقوى من ذي قبل، تتعبد وتحرص أن يكون لك صديق متدين يعينك وتعينه فيجب أن تنتقل.

انظر إلى كلام سيدنا إبراهيم عليه السلام لكن انتبهوا أن سيدنا إبراهيم عليه السلام يواجه بلداً بمفرده: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: 120]، هل تستطيع أنت أن تواجه عمارة أو شارعاً أو صحبة؟ تستطيع أن تكون مثله؟ لا تكن ضعيفاً ولا تستمع إلى أقوال أصحاب السوء وكن قوياً.

أعرفت معنى الشهادة؟

قال تعالى: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٦﴾ [الأنبياء: 56]، من الشاهدين على ماذا؟ على ماذا يشهد سيدنا إبراهيم؟ إن الله هو الذي فطر السموات والأرض، وهل رأى إبراهيم شيئاً؟ لكي يشهد الإنسان، لا بد أن يكون رأى ما سيشهد عليه، انتبهوا إننا نقلد سيدنا إبراهيم في كل شيء، ونحن في كل صلاة

نقول: أشهد أن لا إله إلا الله، ونحن نقولها هل أنتم مدركون ماذا نقول: ماذا تعني أشهد أن لا إله إلا الله؟ أرأيتم، إذن على ماذا تشهد؟ سأضرب لكم مثلاً: إذا ذهب شخص إلى محكمة هل يصح له أن يشهد وهو لم ير شيئاً؟ سيقول له القاضي: ماذا رأيت؟ فيقول: رأيت كذا وكذا وكذا، شهادته مقبولة أو أن يقول: لم أر شيئاً فيقول له القاضي: إذن اخرج من هنا، أنت تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وسيدنا إبراهيم يقول: ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، يعني: أنا متأكد، أعرفت ما معنى الشهادة؟ أنت تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، أي: أنا متأكد، ويقيني لا يتزعزع لحظة كأن أحداً رأى خلق السمٰوات والأرض والله يخلقهما، عندك هذا اليقين؟ أتصدق هذه هي الشهادة المطلوبة في الصلاة التي نقولها؟ أشهد أن لا إله إلا الله، انتهت والحمد لله انتهينا من الصلاة، تعالوا نجرب هذا الأمر وهو أننا في التحيات أول ما نصل عندها نقولها بجد وصدق، متأكد، وملأ قلبي أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، تخيل أن سيدنا إبراهيم يقول ذلك وهو في سن السادسة عشرة، متخيل كيف قالها؟

تستطيع أن تحب الإسلام مثله؟ تستطيع أن تكون متعلقاً بالدين مثل سيدنا إبراهيم؟ هل أنت تعيش قضية الإسلام أم أي قضية تعيش؟ ماذا نريد يا إخواننا؟ نريد أن نأكل ونشرب ونتزوج وننجب ويكون معنا مال ثم نموت؟ أيعقل أننا خلقنا لهذا؟ أنا أريده راضٍ وأريد الأرض كلها أن تحبه، أنا قضيتي في الدنيا أنني أريد أن أحبب هذا الكون كله في الله، أحب أن أحبب الناس به، أنت بهذا أصبحت مثل سيدنا إبراهيم عليه السلام، الله تبارك وتعالى يريدك بهذه الصورة، أتستطيع أن يكون عندك هذا اليقين؟ اليقين الذي كان عند سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي يقول كلمة مشابهة «للشاهدين» عند سيدنا إبراهيم، سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «والله لو فتحت بين يدي السماء ـ يعني لو فتحت لي أبواب السماء ـ ورأيت الجنة ورأيت النار ما ازددت بهما يقيناً»، لن يزوّدني لو رأيت، يقين، أنا واصل لأعلى درجة في التصديق، هل تشعر بهذا الأمر من داخلك؟

من يشهد لرسول الله؟

صحابي اسمه: أبو خزيمة، هذا الصحابي خطير جداً، حصل أنّ يهودياً اختلف على درع مع النبيّ ﷺ والدرع درع النبي، واليهودي، يقول: لا هذا درعي، انظر لجرأة اليهودي وقلة الأدب مع النبيّ ﷺ يفعل ذلك مع النبيّ ﷺ.. افعلها مع إنسان عادي، تفعلها مع النبيّ ﷺ؟ هذا درعي.. فقال النبيّ ﷺ: **«هو درعي»**، فقال الرجل: هل معك شهود؟ قال النبيّ ﷺ: **«من يشهد؟»**، فظهر سيدنا أبو خزيمة وقال: أشهد أنه درع النبيّ ﷺ، أخذ

النبيّ ﷺ الدرع، وقال: «**أرأيت أنه درعي**»، قال: يا رسول الله، أصدقك أن جبريل يأتيك بالوحي من السماء ولا أصدقك أن الدرع درعك، ألديك قلب مصدق جداً مثل هذا الصحابي؟ في هذه الآية ستحس أن سيدنا إبراهيم عليه السلام صاحب الست عشرة سنة عنده ثقة قوية في الله، وليس كمثل الفتاة التي تذهب إلى المصيف فتهتز ثقتها بمجرد تعييرها بالحجاب، لا أنا على أرض ثابتة جداً، ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾، انظر لقلبه ولاحظ ضيقه في الآية التالية ستحس أن قلب سيدنا إبراهيم عليه السلام غاضب.

هل كذب إبراهيم؟

قال تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنبياء: 57] ثم قال ﷻ: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الصافات: 88 ـ 90]، ما الموضوع؟ كان هناك عيد للبلد يخرجون فيه إلى الحدائق، كل البلد تترك أماكنها ويتركون المعبد الذي فيه الأصنام ويخرجون للحدائق يجلسون، ويأكلون ويتنزهون ويلعبون، هذا المكان بعيد عن مكان المعبد والأصل أن كل البلد تخرج ومن الطبيعي أن إبراهيم عليه السلام يخرج معهم، لكنه لن يخرج ولا يريد أن يشعرهم بشيء، فنظر نظرة في النجوم؟ وبدأ يفكر كيف سيوضح ذلك الأمر، وأنا أسأل هل منكم من يجلس ليفكر للإسلام؟

يا أحبة، هل جلس أحدكم يفكر كيف يأخذ بيد صاحبه؟ كيف يساهم في مشروع للأيتام؟ ما الذي سيفعله ليحبب أصحابه في الدين؟ وتجلس لتفكر ويظل هذا الأمر يشغلك لدرجة أنك لا تستطيع أن تأكل أو تشرب.

يا أخوة، من يحب أحداً يجلس ليفكر فيه، من يحب الإسلام سيفكر له ومن يفكر للإسلام لا بد أن الله سيكرمه، سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ لم يكن يعمل في حياته سوى التفكير في مصلحة الإسلام والمسلمين.

قال أبو بكر: قال سيدنا محمد ﷺ: «**ما سبقكم أبو بكر بكثرة صيام ولا قيام** ـ الموضوع لم يصلّ أكثر منكم ـ **ولكن سبقكم بشيء وقر في قلبه**»[1]، ما هذا الشيء الذي وقر في قلب سيدنا أبي بكر؟ غيرة على الإسلام وحب لهداية الناس غير عادية فيقول سيدنا أبو بكر عن نفسه: «والله ما نمت فحلمت» ـ ليس عندي وقت لأنام وأحلم لم ير طوال عمره حلماً، سيدنا أبو بكر ليس عنده وقت مشغول ـ «والله ما نمت فحلمت ولا سهوت

(1) ذكره علي القاري في «الأسرار المرفوعة» (476).

فغفلت» ـ لم يحدث لي أبداً أن سهرت أشرب كوب شاي وأحل الكلمات المتقاطعة ـ «والله ما نمت فحلمت ولا سهوت فغفلت وإنني لعلى الطريق».

هل تعرف أن تكون مثله؟ فنظر نظرة هو يفكر ماذا أفعل لهم؟

يا إخوتي، تفكروا كيف نأخذ بأيدي غيرنا ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩﴾، هو لا يريد أن يخرج فقال لهم: أنا مريض جداً وغير قادر، فتولوا عنه مدبرين خافوا وقالوا: يا أخي، هذا يوم الخروج ويوم الفرح هذا يوم عيد سنتركك ونخرج وأنت تجلس هنا، أنا أريد أن أقول شيئاً هنا: سيدنا إبراهيم عليه السلام كذب أليس كذلك؟ أكان مريضاً؟ لم يكن مريضاً إذن كيف قال: إني سقيم هل هذه كذبة؟ لا ليست كذبة لماذا؟ هو سقيم فعلاً، سقيم! قلبه يوجعه، سقيم النفس عليهم فلما قالها: ﴿سَقِيمٌ﴾، كان يقصد قلبي متألم عليكم وهم فهموا أنه مريض البدن، هو استخدم التورية لم يستخدم كلاماً واضحاً، يا ترى أنت سقيم؟ هل أنت متألم على حال المسلمين؟ أو لا يهمك؟ يا ترى عندما تشاهد التلفاز وترى ما يحدث في فلسطين لإخوانك تجد عينك تدمع؟ يا ترى أنت سقيم على المسجد الأقصى؟ شاب عمره ست عشرة سنة يقول هذا الكلام: إني سقيم، أنا قلبي يتألم، افهموا ما تريدون أن تفهموا أنا قلبي ينفطر على الإسلام، الآية التي تليها تقول: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝٩٠ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٩١﴾ [الصافات: 90، 91]، فراغ أي: ملهوف بكل كيانه، انظر لغيرته ما شكلها؟ يحب الإسلام، فراغ إلى آلهتهم جرى بسرعة ـ والفاء للسرعة ـ يعني: كلمة راغ كلمة سريعة والفاء للسرعة أيضاً: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢﴾ [الصافات: 91، 92]، هو يكلمهم وهم لا يفهمون منه شيئاً إنه يهزأ بهم، أنتم لماذا لا تنطقون؟ الناس كلها في ضلال وأنت ما لكم لا تنطقون؟

هل انت غيور؟

أيها الأحبة، أنا أريد أن أسأل سؤالاً كررته قبل ذلك: أنت تحب الإسلام مثل سيدنا إبراهيم؟ قلت: يا شباب، يا فتيات من يحب فيكم الدين جداً، من التي قلبها غيور على الإسلام؟ التي تدمع عيناها في الليل؛ لأنها تتمنى أن يهدي الله صاحبتها، الشاب الذي يفرح بهداية أحد أصحابه وهو يعلم بأن الله سيكبره جداً، لو هذا قلبك لو أصبح قلبك بهذا الشكل سيكبرك الله ويجعلك من أحسن الناس: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٩١﴾، ست عشرة سنة يقول هذا الكلام: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِٱلْيَمِينِ ۝٩٣﴾، كلمة باليمين، واليمين هنا رمز للقوة كأنه يريد أن يقول لك: أنه يبذل كل جهده، وعندنا هنا

أكثر من شيء، أحياناً كنت أسمع أحد الصحابة يقول أشياء مشابهة لكلام سيدنا إبراهيم، أحد الصحابة يقول لك: لن أموت إلا والإسلام عزيز، سأبذل كل جهدي لأصل لهذا الهدف، سيدنا عقبة بن نافع ﷺ بعدما فتح بلاد المغرب العربي كله وهو خارج من المدينة، وذهب لفتح ليبيا وتونس والجزائر والمغرب بذل مجهوداً كبيراً، يكفي هذا يا عقبة، لا، ليس كافياً، انظر لحبه للإسلام فيقف على المحيط الأطلنطي وينظر للمحيط البعيد ويقول له: «أيها البحر، والله إني لو أعلم أن وراءك أرضاً لعبرتك لأعبّدها لله ﷻ»، كنتُ عبرتك لكي أعبّد الأرض، كلمة «أعبّد الأرض لله» تعني مدى حبه للإسلام.

هل تقلد إبراهيم؟

قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ [الأنبياء: 58]، لم يكتف بإيقاعهم وإنما جعلهم جذاذاً أي: أجزاء متناثرة: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾، هنا يوجد أكثر من نقطة، النقطة الأولى مهمة جداً وهي: هل منا من يقلد سيدنا إبراهيم؟ سيدنا إبراهيم عليه السلام كسر الأصنام إذن أي واحد يرى شيئاً حراماً يذهب ليكسره؟ لا، لا ينفع لماذا؟ ألم يفعل سيدنا إبراهيم ذلك؟ لا، هذا حرام شرعاً فأنت مطالب أن تدعو بالحسنى فقط، لماذا لا ننفذ كلام سيدنا إبراهيم ونذهب لنكسر أي شيء فيه حرام؟ لا هذا خطأ لسببين: **السبب الأول**: أن سيدنا إبراهيم فعل ذلك مع أناس كفار أما نحن فبلدنا وأهلنا مسلمون، إذن أي تخريب أو تكسير في بلدك يكون حراماً شرعاً؛ لأن النبيّ ﷺ لم يأمر بذلك وهذا هو **السبب الثاني**.

كيف كان منهج النبيّ؟

النبيّ ﷺ كان مع الكفار هل كسر الأصنام التي حول الكعبة؟ والقاعدة هنا تقول: «شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يُنسخ»، أي: شرع الناس الذين سبقونا شرع لنا لكن بشرط ألا يكون النبيّ ﷺ قد عمل غيره، وهنا هل النبي فعل غيره أم لا؟ بالطبع فعل غيره؛ لأن النبيّ كان يطوف حول الكعبة وعليها ثلاثمئة وستين صنماً ولم يهدمها، فهل يصح الآن أن نفعل ذلك؟ لأننا مطالبون بأن نقلد النبيّ ﷺ أنا أقول ذلك ليكون هذا الأمر واضحاً، يا إخوة النبيّ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة لم يوقع صنماً واحداً من على الكعبة، أبو جهل قتل السيدة سمية ولم يسمه أحد من المسلمين، كان في مكة أمر اسمه ذوات الألوية الحمراء.

ماذا يعني ذوات الألوية الحمراء؟

يعني: بيوت فيها نساء يدعون إلى الفاحشة ولم يقترب أحد من الصحابة لهذه البيوت لماذا؟ لأن هذا هو منهج الإسلام وهو أن ندعو الناس بحب ورفق ولين، ويفعل الله تبارك

وتعالى ما يشاء: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: 48]، ما عليك إلا أن تأخذ بأيدي الناس وليس عليك أن تغير بالقوة، هذه النقطة مهمة جداً ومهم أن نقولها ونحن نتكلم عن سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾، لماذا؟ لأنه واضع خطة تخيلوا ست عشرة سنة وهو يخطط، هو يريد أن يظل كبيرهم موجوداً، إذن سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو يكسر الأصنام كان فاقد لأعصابه أم كان مسيطر عليها؟ هو يعلم ماذا يفعل بدليل أنه ترك كبيرهم؛ لأن الشخص الفاقد أعصابه لن يترك أي صنم.

وهنا نستخرج معلومة جميلة ومهمة جداً، إياك حينما تجد شيئاً حراماً أن تغضب إياك أن تفقد أعصابك بل أمسكها، وإياك أن تفقدها تعلّم هذا الأمر من سيدنا ابراهيم عليه السلام، كيفية السيطرة على أفعالك.

كن قوي الأعصاب:

وهذه النقطة للشباب مهمة جداً؛ لأنهم يقولون: أبي وأمي أغضبوني أو أختي ضايقتني؛ لأنها ترتدي ملابس ليست محترمة ولهذا أنا ضربتها، لا تضربها؛ لأن هذا الأمر ليس من شأنك وإنما هو مسؤولية أبيك وأمك أما مسؤوليتك أنت أن تنصحها وتأخذ بيدها، عندما فقدت أعصابي فعلت، وفعلت، لا ينفع هذا الكلام، سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو يجعلهم جذاذاً ويكسرهم كان متحكماً في أعصابه ومسيطراً عليها، تعلموا منه يا شباب، إياك أن تدخل مثلاً لتتشاجر مع أحد وتقول: أنا فقدت أعصابي عندما كسر لي السيارة، كن قوي الأعصاب يعني: حينما تضرب اِعرَف أين تضرب؟ فسيدنا إبراهيم عليه السلام كسرهم كلهم إلا كبيرهم، أنا أقول كل هذا لأوضح لك كيف يكون تفكيرك سليماً وعقلك راقياً وأنت ما زلت صغيراً، أرأيت: ﴿ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾ [الأنبياء: 51]، كسر الأصنام كلها وأحضر المعول الذي كسر به وعلقه على رقبة الكبير وذهب.

لاحظوا أن سيدنا ابراهيم يجمع بين أمرين جميلين جداً: عاطفة جياشة، وعقل سليم، عندنا شباب عنده مشكلة من الأمرين، اما أن عقله ناضج لكن للأسف عاطفته باردة تجاه الإسلام، يعني: الإسلام لا يملأ قلبه، أو شاب آخر تجد عاطفته حاضرة لكن للأسف لا يوجد لديه عقل، نتمنى أن يكون عندنا شباب يتمتع بالعاطفة الجياشة ونضج العقل، يعرف كيف يأخذ بأيدي الناس وكيف يحببهم في الدين، يجب أن يكون كثير الاطلاع حتى يصبح مثقفاً وهو يكلم الناس، شخصيته مستقلة، واثق من نفسه، هذه الأمور تؤثر في نفوس الناس.

إذن نحن نحتاج إلى عاطفة وعقل. بعد أن وضع سيدنا إبراهيم عليه السلام المعول رجع إلى بيته هادئاً جداً ونام الليل.

وانكشف الأمر:

وفي الصباح ذهب الناس للمعبد فوجدوا ما حدث، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنبياء: 59]، تخيل الموقف ومدى غضب البلد كلها، فبدؤوا يقولون لبعضهم: من فعل هذا نحن جميعاً كنا في الخارج، لا، كان هناك واحد لم يخرج معنا وكان تكلم عن الآلهة من قبل: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى﴾ [الأنبياء: 60]، كلمة فتى سنضع تحتها خطاً بل عشرين خطاً، تخيلوا أننا جميعاً أكبر من أن نكون فتى، نحن أكبر من سن الفتيان إلا القليل منا: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾، وبدأ الغضب يظهر: ﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾، فأتوا به، وحاول أن تتخيل معي كيف سيحضرونه، بالتأكيد مربوط ومسلسل بالحديد، وحالته مزرية، وأكيد يسخرون منه: ﴿فَأْتُواْ بِهِۦ﴾، يا ترى سيدنا إبراهيم كان ثابتاً أم بدأ يهتز؟

لا هو كان يعلم ماذا يفعل، أحضروا سيدنا إبراهيم عليه السلام، والوضع خطير وليس هذا كل شيء وإنما: ﴿فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾، فضيحة، فضحوه، جعلوا كل الناس تسبه وتسخر منه وتضحك عليه، أين يحضرونه؟ على أعين الناس حتى نفضحه لكي نربيه ونعلمه الأدب ليخاف، وأنت لا تستطيع أن تقول لأصحابك: أنا لن أعاكس فتاة، وأنتِ غير قادرة أن ترتدي الحجاب؛ لأنك خجلة، أنتِ متخيلة ما الوضع الذي فيه سيدنا إبراهيم عليه السلام، والبلد كلها ماذا تفعل معه؟ وجاء سيدنا إبراهيم: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنبياء: 62]، وبدأت المحاكمة، سيحاكم سيدنا إبراهيم عليه السلام محاكمة صورية: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾، أنا أريدك أن تتخيل لو أنت مكانه ماذا كنت ستفعل؟ ترتعد أم تبكي أم تعتذر؟ أنا آسف لن أفعل ذلك مرة أخرى، سامحوني كان خطأ ولن أرجع له: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾، الرد غريب جداً ما هذه الثقة؟ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء: 63]، ما هذا؟ ما هذه القوة؟ انظروا يا أخوتي لحلاوة القرآن! انظر حين تعيش مع القرآن تجد القرآن يكلمك وتجد نفسك قويت.

حجة داحضة:

قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾، بمنتهى القوة والثقة

والشاب الغيور الواثق في ربه الذي يعرف طاعة الله قال: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾، ما هذه الحجة القوية؟ فرجعوا إلى أنفسهم وارتبكوا، نحن أحياناً نرتبك عندما نجد أحداً يهاجم الإسلام، أو أحداً يقول لك: الرجعية والجمود والتخلف و.. و.. وتجد من يقول لك: الأيديولوجيات والفلسفات والنظريات فترتبك من كلامه، هات كل هؤلاء وأحضر لهم ولداً عمره ستة عشرة سنة يقول لهم: يا إخوة من الذي خلقنا؟ حجة فتى في السادسة عشرة من عمره أمام الأيديولوجيات والفلسفات والنظريات من الذي خلقنا؟ الله، يعني: هذا الكون ملك لله، إذن عندما يأمر الله نفعل أم لا؟

إن منهج الفطرة سهل، إياك أن تخجل أو تشعر أنك ضعيف، الحق قوي جداً طاعة الله لا يوجد مثلها بدليل أنك تكون واثقاً في الله، بالعقل يا إخوة من الذي خلق هذا الكون؟ من الذي أبدع هذا الكون؟ هذا الكون ملك من؟ ولذلك الآية تلخص لك كل فلسفات الدنيا وترد على كل نظرية تهاجم الإسلام، بآية واحدة ترد عليها بنظرية واحدة وهي هذه الآية: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54]، الذي خلق يأمر أليس كذلك؟ فالحقيقة ببساطة جداً عندما قال هذا الكلام لوحده أمام المحاكمة وأمام آلاف البشر! تخيل معي وارسم في ذهنك الصور: ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴿٦٤﴾﴾ [الأنبياء: 64]، شخص واحد غلب آلافاً، وانتبه إن كنت تريد أن ترجع بأحد أصحابك وتريد أن تهزه مثل ما فعل سيدنا إبراهيم، بحب شديد وبرقة شديدة أنت لماذا لا تصلي؟ أنت لا تعلم أن عمرك كله بين الستين والسبعين؟ أنت راجع له وهناك جنة ونار ماذا ستقول له؟ كلام من الفطرة: ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾، منتبهين فرجعوا إلى أنفسهم يعني: هم السنون التي مضت كانوا تاركين أنفسهم؛ لأن البعيد عن الله يترك نفسه، يا أحبة، نحن أحياناً نرجع لأنفسنا لكن للأسف نعود ثم نتركها مرة أخرى، بكل أسف أقول لكم: أنه يوجد أناس لا ترجع إلى نفسها إلا وقت هذا الكلام فقط: ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾، أخشى أن يكون هناك أحد مثلهم: ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴿٦٤﴾﴾.

نكوس:

ثم نكسوا على رؤوسهم، يعني: الوضع مقلوب، الوضع مختلف بعدما فهموا ثم نكسوا على رؤوسهم رجعوا مرة أخرى وعتوا في طغيانهم: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴿٦٥﴾﴾ [الأنبياء: 65]، ما هذا يا إبراهيم! أنت تعلم أنهم لا ينطقون، أنت أحياناً تقول نفس الكلام بالضبط، أنا لا أصلي وأصاحب بنات وأفعل الذنب الفلاني من عشر سنين والله يراني وأعرف ما هو الصحيح وما هو الخطأ وغير قادر أن أتوب، ولن أتوب

ولا تكلمني في هذا الموضوع أليس كذلك؟ ثم نكسوا على رؤوسهم وقالوا كلمة الكفر قالوا: إنهم كافرون بهم وهم ما زالوا مصرين: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾، لا ينطقون، أقلتها واستطعت أن تقولها؟ فقال سيدنا إبراهيم: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ﴾ [الأنبياء: 66]، هو قوي ولا يخاف أي شيء، يا ليت كل الناس تكون مثل سيدنا إبراهيم عليه السلام وتحب دينها مثله، والله لكانت مشكلة الإسلام قد حلت: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: 66، 67]، هل تحس بقلبه، عندما أسمع سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو يتكلم أحترق، عندما أقرأ سورة «الأنبياء» أشعر بالأسى، ما هذا الحب؟ لماذا نحن لسنا كذلك؟ أودّ أن أغار على الإسلام مثله، أنا يا إخوة أدعو هذه الدعوة في صلاتي، يا رب، يا رب، احفظ لي غيرتي، يا رب أحب الإسلام وأغير عليه، تخيل هذا الدعاء، يا رب، أسألك ألا يفتر قلبي أبداً، يا رب، العاطفة التي بداخلي، أسألك ألا تخبو أبداً، يا رب، هذه هي التي تحميني من المعاصي؛ لأنها هي التي تجعل الشخص منتمياً لله وللإسلام، هذه العاطفة والشباب كلهم عاطفة لو تتحرك بدل أن تكون الأشياء التافهة هي ما تطلبه، اسمع للشاب الصغير وهو يقول: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾، ما هذه القوة يا إبراهيم؟ أحببت سيدنا إبراهيم عليه السلام أم لا؟ نحن ما زلنا معه في مرحلة الشباب، نحن في البداية، انظر لبدايته وأنت أيضاً ما زلت شاباً، أسس نفسك الآن لتكون قوياً في الثلاثينات والأربعينات، ستكون بخير إن شاء الله، وإياك أن تظن أن الله لن يكبرك أنا أقولها سيكبرك، ماذا تعني يكبرني؟ أي: يفهمك الإسلام ويعطيك أدوات فهم الإسلام ويكبرك بين الناس ويحبب فيك خلقه ويجعل الناس تسمعك؛ لأنك أصبحت لله، أصبحت قضيتك أن تحبب الناس في الله.

جاء في الأثر أن أحد التابعين بعدما مات رأوه في المنام فقالوا له: ماذا فعل الله بك؟ قال: سألني سؤالاً شديداً خفت خوفاً شديداً ـ هذه رؤيا احتمال أن تكون صحيحة أو خطأ الله أعلم ـ حتى تذكرت شيئاً فقلت له: يا رب، كنت أحبب خلقك فيك، فقال لي: قد عفوت عنك يا عبدي! أنا كنت أحب الناس فيك، قضيتي أن الناس تحبك.

يا سعدك لو استخدمك الله لصالح الدين، تحبب الناس فيه وتكون دالاً على الله ﷻ.

قالوا «حرقوه»:

قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ

لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾، وهنا توقفت المحاكمة.. لا، لا يصح أن نتكلم معه بالمنطق سيتغلب علينا: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ﴾ [الأنبياء: 68]، ليس أحرقوه وإنما حرّقوه اجعلوا النار تكويه، ليس كأي رمية في النار: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ﴾، لم يعد الكلام بالعقل، إياك أن تغيب عقلك ولا تحكمه وتمشي وراء هؤلاء الناس، هؤلاء يسيرون وراء أهوائهم: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾، يقول الله تعالى في سورة «الصافات»: ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾، قالوا: ابنوا له بنياناً يعني: مساحة كبيرة جداً ليس حفرة وأشعلوا فيها النار، لأن سيدنا إبراهيم عليه السلام ليس بالقليل ليوضع في حفرة ونار قليلة ويلقونه فيها، لا يا أحبة هم بنوا بنياناً كبيراً وبناءً ضخماً واسمع الروايات التي تصف هذا البناء، يقال: إنه استغرق بناؤه أربعة أشهر! انظر للحقد والكراهية الشديدة للشاب المتدين، حرقوه وانصروا آلهتكم ابنوا له بنياناً، بدأ البناء يكبر ويكبر أربعة أشهر البلد كلها تبني البناء وأين سيدنا إبراهيم عليه السلام في هذا الوقت؟ مسجون. ماذا كان يفعل في السجن؟ كان يردد كلمة واحدة: حسبي الله ونعم الوكيل ليس لي غيرك، افعل بي ما تريده، حسبي الله ونعم الوكيل.. ليس معناها: انتقم لي منهم معناها: وكلتك افعل ما تريده أنت، أنا ملكك تهدي أبي تهدي أمي أهلي يغضبون مني، أهلي يحبونني، أنجح في حياتي، أمرض، أموت، أنا ملكك افعل بي ما تريده، أنت حسبي ونعم الوكيل، اسم الله الوكيل، وكلتك يا وكيل، تستطيع أن تفعل معه ذلك تستطيع أن تترك نفسك لله، وأنا قلتها من قبل: عندما تذهب للشهر العقاري توقّع: وكلت فلاناً أن يتصرف في كل مالي، واستطعت أن توكله في كل مالك؟ طبعاً أنا أثق فيه يا أخي، تثق في واحد توكله في الشهر العقاري ولا تثق في الوكيل؟

ألا توكّل الوكيل؟

يا أخي، وكله في حياتك، النساء تخاف على بناتها لماذا؟ وكلي الوكيل قولي له: وكّلتك وقولي: حسبي الله ونعم الوكيل، وكلتك يا رب افعل ما تريد، هو لم يكن خائفاً؛ لأنه كان موكلاً الوكيل ولهذا سيقف الوكيل معه.

أتعلمون ما معنى اسم الله الوكيل؟

هو الذي يتصرف برحمته في شؤون عباده فلا يسلمهم إلى الشر أبداً، يا سلام لو ترضون بالوكيل لا يضيعكم أبداً، وإذا جاءك شرٌّ فاعلم أن وراءه خير، إن الوكيل لا يضيع عباده.

وبُني البنيان، كل البلد تشتغل... كل البلد تبني حتى النساء، كانت السيدة التي لديها ابن مريض تقول: لو ربنا شفت الآلهة نذر عليّ أن أبني في البناء الذي سيحرق فيه إبراهيم، ما هذا الحقد؟ وما هذه الكراهية؟ وهو يتحمل كل هذا، منهم يحضر الحطب ومنهم من يشعل النار، وبدأ البنيان يكتمل وبدأت تشتعل فيه النار وخافوا أن يبنوه داخل البلد كي لا تُحتَرق، تخيل ضخامة البنيان! خافوا أن تحترق بلدهم فبنوه في الصحراء وخرجت البلد كلها، الآية تقول: ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الصافات: 94]، زفة سب واستهزاء وسخرية وإبراهيم يمشي في صمت لا يتكلم إلا بكلمة واحدة: حسبي الله ونعم الوكيل.

الشاب الذي يقول: أنا أريد أن أهتدي لكنني لا أستطيع أن أقاوم المعاصي، اثبت، والشاب الذي يقول: أنا إيماني يضعف. اثبت، ولكن سَلَكَ الأعلى إبراهيم، واعتمد على الوكيل.

ويؤخذ سيدنا إبراهيم عليه السلام وسط الآلاف ويصلون إلى موضع النار، يقال: إنه وهم واقفون أمام النار، لو مر طير من فوق البنيان تخطفه النار من شدة لهيبها، أنت متخيل؟ هناك أثر لطيف جداً وهو أن ملك المطر سأل الله تبارك وتعالى: يا رب، ائذن لي أن أطفىء النار ـ وهذا أثر ليس حديثاً ـ فقال الله تبارك وتعالى: لا إنما أنجيه بمعرفتي، لا أنا سأفعل له أمراً آخر، إنه الوكيل، طالما وكلت الوكيل فإن الرزق سيأتي، لا تخف وكّل الوكيل ونم مستريحاً طالما اشتغلت بالنهار واعتمدت على الله، لا تخافي على بناتك وكلي الوكيل، النساء اللاتي تعانين من مشاكل مع أزواجهنّ ألقي حملك على الوكيل، الشباب الذي لا يجد عملاً، اذهب وتعلم صنعة، تعلم كمبيوتر وألق حملك على الوكيل، لا تقلق لا تخف، ويؤتى بسيدنا إبراهيم عليه السلام ويقولون: من الذي سيلقي به في النار؟ فكل الناس تخاف من سيأخذه للنار ليرميه فيها؟ يمكن أن يحترق، فالنار تأكل كل شيء حولها، أنت تتخيل الرعب؟ فيضطرون لتأجيل الوقت إلى أن يحضروا المنجنيق، موتة صعبة أتعرف ما هو المنجنيق؟ شيء مثل المطاط تُشد جداً ثم ينطلق ما بداخله على مسافة فيسقط في النار مثل السهم، وأحضروا المنجنيق وبدؤوا يحضرون خشباً يضعونه على المنجنيق ليتأكدوا أن الخشب سيقع في النار، يقومون تجارب ليعرفوا أين سيسقط، ممكن أن يسقط خارج البناء ويموت بدون أن يحترق، تتخيل هذا؟ كل القرية تهتف للآلهة وتسب إبراهيم، ويوضع إبراهيم في النار، وفي هذه اللحظة جاء سيدنا جبريل: يا إبراهيم، ألك حاجة؟ ويرد سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي وكل الله في أمره ويقول له: «أمّا إليك فلا وأما إلى الله فنعم، علمه بحالي يغني عن سؤالي»، ويوضع سيدنا إبراهيم في المنجنيق ويذهب سيدنا جبريل عليه السلام ويحترق المنجنيق، أصعب

موتة في التاريخ، لا أحد مات هذه الموتة، وينطلق وهو مقيد ويسقط في النار، وترتفع الأصوات فرحين قضينا على إبراهيم سنظل إلى أن يخرب البنيان أو نأتي بعد يومين لنر آثار الخراب .

برد وسلام:

يا سبحان الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾ [الصافات: 97]، ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: 69]، ولو قال الله: برداً بدون سلام لمات من شدة البرد انظر للعطف الإلٰهي وللحفاوة الإلٰهية: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾، ويوضع إبراهيم في النار ثلاثة أيام، فما كان من النار غير أنها فكت قيوده، النار جاءت على القيود وفكتها وأحرقتها، سُئل إبراهيم عليه السلام عند الموت: يا إبراهيم، ما هي أفضل الأيام التي عشتها في حياتك؟ قال: الأيام التي قضيتها في النار، قالوا: كيف؟ قال: كان ربي يطعمني ويسقيني من الجنة.

يا اخوة، البلاء يأتي معه الرحمة لو ابتلاك سيبتليك، سيرحمك من غير أن تشعر.

قلنا: يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ماذا قالوا هم؟ قالوا: حرقوه، ماذا قال الله؟ هم يقولون ما يريدون ويقولون سنفعل فيه كذا وكذا، وسنفعل فيه كل ما نريده ويتفق عليك كل الناس، لكن الله ماذا سيفعل؟ النبيّ ﷺ يعلمنا: «**يا غلام، احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وأن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»[1]، يا إخوة، الذي قال للنار: لا تحرقي هو نفسه الذي قال للسكين: لا تذبح إسماعيل، هو نفسه الذي قال للحوت: التقم يونس واحفظه في بطنك ثم أخرجه على الشاطىء، هو الذي قال للبحر: يا بحر، انقسم بين يدي موسى كالطود العظيم.

إن اللّه تبارك وتعالى أعطى الأشياء خواصها بمعنى: أن السكين لا يذبح إلا بأمر اللّه، والنار لا تحرق إلا بأمر اللّه، والبحر لا يغرق إلا بأمر من اللّه، أتظنون أننا فقط من نعبد اللّه، نحن فقط عباد للّه؟ الكون كله عبد للّه، هذا السكين عبد والنار عبد، والحيوانات عبيد والجن عبيد. وبعد ثلاثة أيام يخرج سيدنا إبراهيم عليه السلام من

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2516)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 1/ 303).

النار بدون قيود وهو يبتسم، ويفزع الناس كيف خرج؟ كيف خرج إبراهيم من النار؟ لكن للأسف لم يؤمن أحدٌ قط، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: 26]، يا سبحان الله!

مواجهة ثالثة:

وعند خروج سيدنا إبراهيم عليه السلام من النار سالماً، انطلق تاركاً مدينة بابل؛ لأنه شعر أنه لا توجد فائدة في أهلها الذين لم يؤمنوا بعد تلك المعجزة التي حدثت في النار، فأراد أن يهاجر لكن للأسف لم يستطع، لماذا؟ لأن ملك بابل وكان اسمه النمرود، سمع بقصة شاب صغير دخل النار ولم يحترق، وقد كان النمرود يقول: إنه هو الإله، فأمر أن يقيد هذا الشاب بالحديد ويرسل إليه ويقف بين يديه لكي تبدأ سلسلة جديدة من سلسلة الابتلاءات والمواجهات في حياة الشاب الصغير إبراهيم عليه السلام.

نحن انتهينا مع إبراهيم من مواجهتين حتى الآن، **الأولى**: مواجهته مع أبيه، **والثانية**: مواجهته مع قومه التي انتهت بمحاكمته وإلقائه في النار، تعالوا نبدأ مواجهة جديدة، ونسأل سؤالاً: هل حياة سيدنا إبراهيم كلها ستظل بهذا الشكل كلها مواجهات؟ ومواجهات ليست من أي نوع، أنا لا أذكر هذا الكلام لكي أطلب منكم أن تقوموا بعمل مواجهات، لكن لأقول لكم:

من لم يستطع أن يقاوم معصية لأنه ضعيف؛ فعليه أن ينظر لقوة وثبات إبراهيم عليه السلام وهو في مثل سنه.

في وجه الطاغوت:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: 258]، أريد منك الآن أن تعيش معي هذه المواجهة، شاب في عمر السابعة عشرة أو الثامنة عشرة يأخذونه إلى ملك يقال: إنه كان يحكم أغلب العالم، والملوك الذين حكموا العالم أربعة: اثنان مسلمان، واثنان كافران، هذا الكلام قبل العصر الحديث الذي نحن فيه الآن، لكن لم يحكم العالم من القدماء إلا أربعة ملوك، منهم اثنان ليسا مسلمين، وهما: النمرود الذي واجهه سيدنا إبراهيم، والآخر اسمه: بختنصر، أما الاثنان المؤمنان فهما: سيدنا سليمان عليه السلام، والثاني: ذو القرنين.

العصر الذي نشأ به سيدنا إبراهيم كان عصراً قاسياً، وكان النمرود يحكم في ذلك العصر، فذهب إليه سيدنا إبراهيم وهو في قصره الفخم الكبير يقابل ذلك الملك الكبير مع أتباعه، ما هذا؟ وأنت تقول: لا أستطيع أن أقاوم المعصية، وأن الشهوة توقعك؟ أيعقل أن يكون سيدنا إبراهيم عليه السلام بهذه القوة، وأنت بهذا الضعف؟ أنا أذكر هذا الكلام ليس فقط لتقليد سيدنا إبراهيم في مواجهته مع نمرود؛ إنما أذكره كي يكون ثباتك في دين الله تبارك وتعالى مثله، نريد أن نرفع من قوة ثباتك، من قوة إيمانك، تزداد قوة مقاومتك للمعصية، نريد بمجرد سماع صوت المنبه يُؤذن قيام الليل أو قبل الفجر بنصف ساعة تهب من سريرك بمنتهى القوة، سيدنا إبراهيم وقف أمام النار، أنا سأصلي ركعتين في جوف الليل لله، يجب أن أكون قوياً، فتاة تحاول أن تتصل بك، لا أنا في منتهى القوة، أنا لا أفعل ذلك الحرام أبداً، علاقتي بالله أمتن من أي أمر يوقعني، نحن نرى الضعف الكثير، اعلموا أن الله لا يصدر منه الشر أبداً، إنما يبتلي انظر ما حدث، لسيدنا إبراهيم له سيقف أمام هذا الرجل، أمام النمرود.

هل تصدق ربك؟

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، تحس فيها بالاستغراب، هل هناك من أحد يحاج في ربنا؟ كأنها تعجب ما هذا؟ ما هذا العمى الذي هو فيه؟ كان من الطبيعي أن يقول القرآن: ألم تسمع بالذي حاج إبراهيم عليه السلام بدلاً من ألم تر، هل رأى النبيّ ﷺ ما حدث؟ لماذا إذن قال القرآن: ألم تر ولم يقل: ألم تسمع؟ لأن السمع سيعطيك العلم بالموضوع، لكن ألم تر معناها أتصدق في كلام الله وكأنك ترى الحادثة أمامك، انظروا للمعنى، نحن نريد أن نقرأ القرآن بهذه الصورة، نريد أن نقرأ كل كلمة في القرآن كأنها بمعنى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ كأنك تراها أمامك الآن، تسمع في القرآن عن النار تكاد تميز من الغيظ، تكون مشاهدها أمامك وهي ستتمزق من شدة الغيظ، عندما تسمع الآية: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق: 30]، كأنك تسمعها وهي تقول: هل من مزيد وأنت واقف تقول: يا رب، لا تجعلني من المزيد، عندما تسمع: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الشعراء: 90]، قربت الجنة وقربت وقربت حتى وصلت أمامك وتصبح الجنة بين يديك، فتكون كأنك رأيتها أمام عينيك الآن، قال: ألم تر، لنقول نحن مصدقون بكلامك يا رب، وكأننا نرى الحادثة أمام أعيننا الآن، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾، حاجّ يعني: جادل، قال له: أين ربك أنا الرب، انتبهوا لم يذكر القرآن هنا اسم ذلك الملك مع أنه ذكر اسم إبراهيم وذلك لأنه لا يستحق الذكر، العبرة في ذلك أنه من يكون طائعاً هو الذي يُذْكَر عند الله وليس الذي هو أكثر قوة.

احذر:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾، حاج إبراهيم، لماذا وقف هذا الموقف الصعب؟ لأنه غُرّ بإمكانياته، هذه نقطة مهمة، يعني: ما هو السر الذي جعل هذا الرجل يفعل ذلك وقال: أنا ربكم ووصل لهذه المرحلة؟ الغرور بالإمكانيات، إذن نستخرج من هنا أمراً يفيدنا لأننا لا نذكر حكايات نحن نذكر أحداث حقيقية ونحاول أن نستفيد بها في واقعنا، إذن ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه، ما السر لعمله ذلك؟ لأن الله أعطاه الملك، آتاه الله الملك واغتر بها.

فضل عظيم من رب كريم:

ومن هنا أقول لك: من أكثر الأمور التي تبعدك عن الله أنك تغتر بإمكانياتك وتظن أنها ملكك وأنها من صنعك، أحياناً الغنى يصبح نقمة ويضيعك، لأنك ظننت أن إمكانياتك ستقويك وتثبتك، ونسيت أن الذي أعطى لك هذه الإمكانيات هو الله، ونسيت أن عقلك ومالك ملك لله، هذا المال وديعة لله أعطاها لك، استخلفك عليها، مشكلة هذا الرجل أنه اغتر بإمكانياته، فتنبهوا لذلك.

ولنبدأ بمنطق الآخرة:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾، عندما تريد أن تأخذ بيد صاحبك سأقول لك ما هو المنهج وما هي الطريقة التي تأخذ بها بأيدي الناس، أثناء سردنا لقصة سيدنا إبراهيم ستجد آيات تدل على ذلك كيف تأخذ بأيدي الناس، هذا أول جزء ومهم جداً، قضية الآخرة، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾، منطق جميل جداً، تريد أن تُذكِّر الناس بالله، أنتم من الذي خلقكم، أنتم تنسون أنكم ستموتون، إلى أين أنتم ذاهبون، أنتم تنسون أنكم ستقابلون الله تبارك وتعالى؟ أيها الإخوة؛ إن كان لك صديق، أو كانت لكِ صديقة بعيدة جداً عن الله، فابدؤوا معهم بمنطق الآخرة، من الذي خلقك، ولمن أنتِ سترجعين؟ أي إنسان تريد أن تأخذ بيده لطاعة الله ممكن أن يكون أول مفتاح تدخل معه هو تذكيره بالآخرة، تذكره بالله، تذكره بأنه خالقه.

أسلوب الحوار:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾، نشعر في هذه الآية أن هناك غباء وليس غرور: إن كان هناك اثنان في السجن وهما محكومان

بالإعدام أستطيع أن أعفو عن واحد وأعدم الآخر، إذن أستطيع أن أحيي هذا وأميت الآخر؟!

لنر ماذا سيفعل؟ لو أنك في هذا الموقف ماذا كنت ستفعل؟ كنت ستكمل معه في موضوع يحيي ويميت أليس كذلك؟ ستقول له: لا أنت تتكلم كلاماً خاطئاً يحيي ويميت ليس معناها ما قلته، إنما معناها.. سيدنا إبراهيم لم يفعل ذلك تماماً، بل قال له أمراً آخر، من غير أن يجادل ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾، أنا قلت لكم قبل ذلك أنك لو أحضرت طفلاً عنده عشر سنين وأوقفته أمام الفلسفات والأيديولوجيات والناس التي تقول على الإسلام و.. و.. و، وقف أمامهم قائلاً: من الذي خلقنا؟ سيقول: الله، كم سنة سنعيش؟ ستين، سبعين سنة، عندما نموت أين سنذهب؟ سنعود لله، من ملك هذا الملك كله؟ الله، من الذي في يديه كل شيء في هذا الكون؟ الله، إذن يجب أن نعبد الله، وما يقوله الله يُسْمَع، بسيطة جداً هذه القضية، قضية سهلة جداً، هذا هو المنطق الحق، وانظر لذكاء سيدنا إبراهيم وهو يتحاور مع هذا الرجل، هل هذا سلوك أحد خائف؟ انظر تراه واقفاً بعزة: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾، اجعلها أنت تخرج من المغرب: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ﴾، بهت! كلمة بهت لها معان ثلاث: أصابته الدهشة، والحيرة، والشعور بالهزيمة، يعني: كلمة بهت عندما تأتي في اللغة العربية يعني: حدث له الثلاثة أشياء معاً، دهشة وحيرة وإحساس أنه مهزوم، فتخيل أنك بالمنطق العقلي تستطيع أن تؤثر في الناس، تأثراً شديداً جداً، إذن هذه الآيات تريد أن تقول لنا: إن سيدنا إبراهيم ركز على أمرين: تذكيره باليوم الآخر، واستخدام العقل.

يا إخوة، نحن لا نريد أن ندعو الناس ونأخذ بأيديهم بالكلام العاطفي فقط. بل أيضاً باستخدام العقل؟ تعلم من سيدنا ابراهيم هذا الأمر.

انظر تحديه للملك عندما قال له: ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾، هنا سؤال: لماذا بهت الرجل؟ ألم يكن يعلم أن الشمس تخرج كل يوم من المشرق، وأن الله كل يوم هو الذي يطلعها من المشرق؟ إذن ما الذي جعله يبهت؟ هذا أمر طبيعي بالنسبة لنا، أنتم تعودتم كل يوم أن الليل يأتي ويعقبه النهار ثم الليل ثم النهار، والأمور سائرة، لكن هل هناك من فكر أن الليل والنهار معجزتان من معجزات الله المبهرة؟ فكرت في ذلك من قبل؟

فبهت الذي كفر:

أنتم تتضايقون أيها الإخوة والأخوات لو حجبنا عن انسان آية الليل والنهار لمدة

عشرين سنة، ثم أطلعناه فشاهد آية الليل والنهار سيسجد لله تبارك وتعالى، ما هذا الإعجاز؟.

هذه مشكلتنا نحن أيضاً، أننا اعتدنا أن نرى الآيات الربانية فلم تعد تؤثر فينا، الجدير بك أنك كلما مررت على آية من آيات الله لا بد أن تغرس في قلبك معنىً وفكراً، هذا الرجل بهت؛ لأنه لا يعرف أنها من خلق الله، والجدير بك عندما تشاهد القمر أن تقول: لا إله إلا الله سبحان الخالق، وترغم قلبك أن يتفكر في هذه الآية، عندما ترى طفلاً يولد تقول: سبحان الله، معجزة من معجزات الله، كل ولد يولد في هذا الكون دليل أن الخالق واحد، صحيح أم لا؟ أشعرت أنك في حد ذاتك معجزة؟ بُهِتَ الذي كفر؛ لأنه نسي آيات الله تبارك وتعالى، لكن الغريب أن النمرود خاف، فبهت الذي كفر، وتوقفت المناقشة هنا، من الذي انتصر في هذه المناقشة؟ إبراهيم عليه السلام، أمام من؟ النمرود، ما هذا الثبات، وهذه القوة، وهذا الإيمان؟ الشيخ الشعراوي رحمه الله له كلمة جميلة جداً يقول لك: الثبات على طاعة الله له حلاوة وله طمأنينة في القلب، حاول أن تقول: المعصية الفلانية لن أعملها، واثبت على ذلك ستشعر بعد مدة بحلاوة في قلبك لم تذقها من سنين، حاول، معصية تفعلها من فترة، وقل: هذا الأسبوع لن أفعلها ولا مرة واثبت، وانظر ماذا يحدث بعد هذا الأسبوع؟ هذا الكلام ليس كلامي هذا الكلام حديث قدسي: «**من ترك النظر** ـ من يغض بصره ـ **لمخافتي عوضته إيماناً يجد حلاوته في قلبه**»[1].

وللنساء أيضاً:

بالمناسبة في موضوع غض البصر يظن الناس أنه للشباب والرجال فقط، وأن النساء ليس لهن غض البصر، بمعنى: شاب يسير في الشارع وتنظر إليه النساء بإعجاب، أيها الإخوة، النساء أيضاً يجب أن يغضضن من أبصارهن، أين حياؤك أختي المسلمة؟ أنا دائماً أتكلم عن غض البصر؛ لأن الفتنة في المرأة، لكن العجيب أنك تسمع أن هناك فتيات ينظرن إلى الشباب! «**من ترك النظر لمخافتي** ـ من ترك النظر لإرضاء الله ـ **عوضته إيماناً يجد حلاوته في قلبه**».

الثبات على طاعة الله له حلاوة.

ولذلك أنتم عندما تسمعون قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام تحسون بالقوة وبالعزة.

---

(1) أخرجه **الحاكم** في «المستدرك» (الحديث: 4/ 349)، وأخرجه **الطبراني** في «المعجم الكبير» (الحديث: 10/ 173).

عفة شاب:

عندنا قصة ثانية جميلة أحبها جداً، قصة أخرى للثبات، قصة سيدنا يوسف عليه السلام وامرأة العزيز وهي تقول له: هيت لك، وهو يقول: معاذ الله، وهي تقول: ولقد راودته عن نفسه فاستعصم، ما هذه القوة؟ انظر لكلمة استعصم وانظر لو أنك في هذا المكان، لو أن واحدة قالت: عليك ذلك، واسمعوا وانظروا لثباته هو يقول: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: 12]، السجن أحب له، الثبات جميل.

انبهار رستم:

كان لسعد بن أبي وقاص جندي صغير اسمه: ربعي بن عامر، وكانت قد بدأت معركة القادسية، فبعثه سعد إلى القائد رستم لمواجهته ودعوته إلى الإسلام، فعمد رستم إلى إغرائه وذلك بأن فرش الصحراء بأفخر أنواع السجاد الفاخرة ووضع الجواري بجانبي الطريق، ظنًّا منه أن ذلك سيبهره، فما كانه من ربعي إلا أن أدخل رمحه داخل السجاد ومزقه، فعلموا أن الأمر لم ينفع، فوقف أمام رستم، وهو جالس في عزة فقال له: ما الذي جاء بكم؟ انظر ماذا سيقول له قال: «جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام» انظروا للرجل البسيط، فحدث أن رستم هو الذي انبهر بالرد وخاف، وليس ربعي، فانظر إلى ثباته وانظر إلى إيمانه.

هذه كانت قصة إبراهيم مع النمرود، ورجع إبراهيم مرة ثانية بعدما تركه النمرود وقال لهم: أرجعوه لبلده، خاف منه ومن مواجهته، خاف أن يلقيه في النار مرة أخرى أو يفعل فيه أي شيء، إذن لا شيء يقف أمامك بعد ذلك، جُرِّبت وثبت صدقَك.. لم يمسّه النمرود بسوء، مع أنه من الأَوْلَى أن النمرود هو من يلقيه في النار وليس القوم، لكن أنت صَدَقْتَ مرة يا إبراهيم فلا حاجة في أن تتعرض لذلك مرة أخرى.

العودة إلى بابل:

عاد سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى بابل مرة أخرى وتزوج من ابنة عمه السيدة سارة، والحقيقة هناك حديث للنبيّ ﷺ يقول فيه: **«ما خلق الله امرأة على الأرض أجمل من سارة إلا حواء»**، يعني أجمل امرأتين في الأرض من هما؟ حواء وسارة، ما خلق الله امرأة على الأرض أجمل من سارة إلا حواء، والسؤال: ما الذي يجعل النبي يحكي لنا هذا الحديث؟

هناك معنى خفي مطلوب أن يظهر، ما هو المعنى الخفي؟ ارتبط في أذهان الناس أن

الجميلة جداً والمفترض أن يكون شكلها جميلاً هم الفنانون المشهورون أو ملكات الجمال، لا، من أجمل واحدة في الدنيا؟ السيدة سارة مسلمة مؤمنة تقية ورعة، سترون لها موقفاً إيمانياً غير عادي، ارتبط في أذهان الناس الفصل بين الجمال وبين الدين، من الذي قال ذلك؟ كأن المقصود هنا أن أجمل امرأتين امرأتان متزوجتان من نبيّين، وليس عيباً أن إبراهيم عليه السلام وهو خليل الرحمٰن أن يكون متزوجاً أجمل امرأة في الوجود، هذا معنى أهديه للنساء، إياك ألا تتحجبي لأنك جميلة، لو كنتِ غير جميلة كنت ستتحجبين؛ لأن الحجاب ليس للجميلات؟ لا، من الذي قال هذا؟ سيدتك سارة أجمل امرأة في التاريخ بعد حواء وهي مسلمة وزوجة نبي، والسيدة حواء التي هي أجمل منها زوجة آدم عليه السلام، ونستخرج معنى هاماً جداً مفيداً للسيدات، كأني أقول لكِ العكس، كلما ازددت جمالاً كلما كان الحجاب لازماً لكِ حتى تكوني قد قلدت زوجات الأنبياء، معنى جميل، يوجد شبان كثيرون يقولون: لا أنا لا أتزوج محجبة لأنها أكيد ليست جميلة! ما العلاقة؟ لا توجد علاقة أبداً، احتمال أن تكون غاية في الجمال وتكون محجبة، والدليل على ذلك أن أجمل امرأتين في التاريخ زوجات أنبياء وكانتا مسلمتين تائبتين موصولتن بالله ﷻ، لاحظوا أمراً آخر أن السيدة سارة جدة سيدنا يوسف، يا إخوة لأوضح لكم أنها جميلة جداً، أنتم تذكرون أن السيدة سارة أم إسحاق، إسحاق أنجب يعقوب، يعقوب أبو يوسف عليه السلام، فالسيدة سارة يجمعها بسيدنا يوسف نسب.

لنعمر بيوتنا بالحب:

وتزوج إبراهيم عليه السلام من ابنة عمه سارة، الروايات تقول: وكان بينهما من الحب القوي وإن خليل الرحمٰن أحبها حباً شديداً، هذه الحقيقة أريد أن أقف عليها، وهي أن بيوت الأنبياء كلها حب، يعني: بيت النبيّ ﷺ كله حب.

لو سألتكم ما هي أشهر قصة حب في التاريخ؟ ستقولون: أشهر قصة حب في التاريخ كل الناس طبعاً تعرفها: قيس وليلى، روميو وجولييت، الحقيقة أنها ليست أشهر قصص حب في التاريخ؛ لأن أشهر قصص الحب، حب الأنبياء؛ لأن هذا الحب يا إخوة مرتبط بطاعة الله تبارك وتعالى، نحن نسمع عن قيس وليلى ونقول: إنها أكبر قصة حب في التاريخ، يا إخوة هذا النوع من الحب عادي، لأنه حب لم ينتهِ بزواج، لكن العجيب أن تنتهي القصة بزواج ويستمر هذا الزواج لعشرين سنة والحب يملأ القلب.

هذا هو الحب:

سيدنا إبراهيم من شدة حبه لسارة لم يتزوج عليها إلا بعدما طلبت منه ذلك، من كثرة

ما كان حريصاً على مشاعرها، فهو لا يريد أن يعرضها لأي أذى أو تعب أو أي صدمة نفسية، السيدة سارة لم تكن تنجب فظل سيدنا إبراهيم معها حتى وصل سنّه فوق الثمانين سنة فطلبت منه أن يتزوج، انظروا للحب، انظروا لحب سيدنا محمد ﷺ للسيدة خديجة، حبٌّ شديد، بعد موت السيدة خديجة بسنتين تقريباً، تأتي إحدى الصحابيات تقول له: ألا تتزوج يا رسول الله لأجل أطفالك؟ السيدة خديجة ماتت وتركت سبعة أولاد أفلا تتزوج يا رسول الله؟ فبكى النبيّ ﷺ وقال: **«وهل بعد خديجة من أحد؟»** وهل ينفعني أحد بعد خديجة، انظروا لمدى حبه لها، أنت الآن تجد الرجل زوجته تموت وبعد موتها بكذا شهر يتزوج، لكن انظروا حب النبيّ بعد وفاة زوجته التي تركت له أطفالاً وهو لا يرضى أن يتزوج، وحتى تعلموا أنه لولا أمر الله تبارك وتعالى للنبيّ ﷺ أن يتزوج السيدة عائشة لم يتزوج.

بمناسبة الزوجة الصالحة هل تعلم تفسير قول الله تبارك وتعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: 201]، ما هي حسنة الدنيا وما هي حسنة الآخرة؟ حسنة الآخرة الجنة وحسنة الدنيا ما هي؟

أحد العلماء له كلمة جميلة جداً قيل له: ما هي حسنة الدنيا؟ قال: حسنة الدنيا هي التي تستحق أن تذكر بجوار حسنة الآخرة ـ حتى تكون في مرتبة حسنة الآخرة ـ قالوا: فما هي؟ قال: الزوجة الصالحة، وبالنسبة للمرأة: الزوج الصالح.

أيها الشاب، عندما تنوي الزواج لا تهمل اختيارك لفتاة شقراء زرقاء العينين خفيفة الدم.. إنها ممتازة! هذه هي التي أريد أن أتزوجها، وتنظر لها وهي مرتدية الملابس الضيقة والقصيرة.

وأنتِ عندما تريدين الزواج إياك أن تبحثي عن شاب غني وجميل وعصري ودم خفيف وذو عضلات قوية.

أيها الشاب، لكي تفوز بالجنة أنت وأولادك لا بد أن تكون زوجتك صالحة، وأنا سأقول لكم ـ والله على ما أقول شهيد ـ الكثير من الرجال كانوا متدينين في شبابهم وتاريخ زواجهم هو تاريخ وقوعهم، وبُعْدُهم عن الدين لماذا؟ لأنه لم يبحث عن ذات الدين، لهذا يقول لك النبي ﷺ: **«فاظفر بذات الدين تربت يداك»**[1]، ما معنى تربت يداك؟

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 5090)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 3620)، وأخرجه **أبو داود** في (الحديث: 2047)، وأخرجه **النسائي** في (الحديث: 3230)، وأخرجه **ابن ماجه** (الحديث: 1858).

يعني: الذي لم يرتبط بذات الدين كأنه وضع يده في التراب، لذلك عليكم أيها الشباب والفتيات أن تبحثوا عن الزوج أو الزوجة الصالحة، المهم ذات الدين، وليس معنى هذا أن المستوى الاجتماعي والثقافي غير مهم، فقط المهمّ هو التكافؤ الديني، لا، بل التكافؤ الاجتماعي والثقافي من الإسلام يجب أخذهما أيضاً بعين الاعتبار.

قادم إليك يا رب:

تعالوا نكمل مع سيدنا إبراهيم عليه السلام وكيف ترك بلده العراق ومنطقته بابل؛ لأنه لم يجد فائدة وقال جملته الشهيرة: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: 99]، ركز معي في هذه الآية: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾، المفروض أن يقول: إني مسافر وتارك لكم الأرض، لكن كلمة ذاهب إلى ربي كلمة راقية جداً، أتعرف مثلاً الذي يذهب إلى العمرة عندما يقول لنفسه: يوم الخميس القادم ذاهب إلى ربي، ما رأيكم في إنسان يُصَيّف ويقول: أنا ذاهب إلى الله لأشاهد خلق الله ولست ذاهباً إلى الشيطان، يجد من يقول: إني ذاهب إلى شيطاني منتظرك لنذهب مع بعض، لكن هناك آخر يقول: أنا ذاهب إلى ربي، ما رأيك أن تتذكر هذه الجملة عندما تنزل لتصلي الفجر في المسجد؟ يا ترى هل منا أحد وهو مثلاً ذاهب للعمرة أو ذاهب ليصلي الجمعة أو ذاهب يجلس في المسجد بين المغرب والعشاء ليعتكف يذكر نفسه بهذه الجملة، تقول: أنا ذاهب إليك يا رب، قادم إليك يا رب، كثير من الأنبياء قالوا هذه الجملة، قالها سيدنا إبراهيم هنا: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، وقالها سيدنا موسى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: 84]، قادم لك بسرعة لأرضيك، ما رأيكم يا شباب لو نتفق أن نجعل لنا شعار طوال هذا الأسبوع، شعارك هذا الأسبوع، قادم إليك يا رب، آتٍ لك بعبادة، آتٍ لك بطاعة، ذاهب إليك بتوبة، بغض بصر، يعني: كل شيء أفعله هذا الأسبوع يكون بنية أنه لله، جربوا وشاهدوا ماذا سيحدث لك من الله: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

من خواص الخليل:

سننتقل إلى بلد جديد مع سيدنا إبراهيم، قدرك يا سيدنا إبراهيم أنك كلما ذهبت ستلتقي بأناس بعيدين عن طاعة الله، القرية التي كان يعيش فيها كانوا يعبدون الأصنام وبعدها النمرود، الآن ماذا ستجد؟ ستجد أناساً يعبدون النجوم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنعام: 74]، نبدأ من الآية التي تليها: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام: 75]، ما حكاية نري إبراهيم ملكوت السمٰوات والأرض، الحقيقة

كلمة «وكذلك» هنا معناها خطير لماذا؟ لأن معناها: لما حدث ذلك جعلناه يرى ملكوت السمٰوات والأرض أليس كذلك؟ عندما حدث أنه وقف هذه الوقفات لله تبارك وتعالى، أي: لما أصر على طاعة الله تبارك وتعالى، ولما ترك المعاصي، نُري إبراهيم ملكوت السمٰوات والأرض.

ما معنى ملكوت السمٰوات والأرض يا إخوة؟

كلمة ملكوت من الملك، ملكوت كلمة تعظيم للملك، تعظيم لملك الله ﷻ، يعني: عظمة ملك الله ﷻ، يعني: جعلنا إبراهيم يرى عظيم ملك الله ﷻ، رأى النجوم والمجرات وأمد الله نظره تبارك وتعالى، فجعله يرى هذا الكون الفسيح من حوله، هل أنت متخيل؟ الذي لا يرصد الآن بالمراصد الكبيرة شاهد إبراهيم الكون بالذي فيه، أمر لم يحدث مع أي إنسان، هو خليل الرحمٰن، فجعله الله يرى بعينيه كل شيء، وكذلك نري إبراهيم ملكوت السمٰوات والأرض، النجوم والكواكب والمجرات والمساحات هذه والمجموعة تلك، والكون الهائل كان قد فُتِحَ بين عيني إبراهيم ﷺ، الذي جعل النار لا تحرق، الذي جعل السكين لا تذبح، هو الذي جعل العين ترى ما لا تتخيل أن تراه العين وتدركه، هذا معنى مهم.

فتوح ربانية:

معنى آخر جميل جداً في كلمة «وكذلك» هو متى شاهد إبراهيم ملكوت السمٰوات والأرض؟ وكذلك لما أطعنا، كأن المعنى وأنت أيضاً، وكذلك أنت عندما اتقيت الله والله يعلمك ما لم تكن تعلم، والله يفتح عليك فتوحات ما كنت تتخيلها، أحد العلماء الكبار قال كلمة جميلة جداً: تريد أن تفهم القرآن جيداً، وتجد معاني لم تكن لتفهمها من قبل أو تشعر بها، تشعر أن عينك تدمع من حلاوتها، اتقِ الله أسبوعاً، اتق الله شهراً، وافتح بعدها القرآن وانظر إلى حالتك؟ ستفهم ما كنت لا تعرفه، لماذا؟ وكذلك متى؟ وكذلك نري إبراهيم، أطعتنا كثيراً واتقيتنا كثيراً، سنريك ملكوت السمٰوات والأرض، هذا المعنى محتاجون له يا جماعة، أي إنسان فيكم أحس أنه بعيد عن الله، وأحس أن قلبه قاسٍ، لا يخشع لله، ولا يفهم القرآن، تريد أن تفهم؟ تريد أن يفتح عليك الله مثلما فتح الفتح العظيم على سيدنا إبراهيم؟ عليك بقليل من التقوى والطاعة وانظر سيفتح عليك الله ويفهمك ويعلمك ويوسع مداركك، إذن كلمة «وكذلك» كلمة مهمة جداً.

التقدم قرين الإيمان:

وهنا جزء مهم جداً، وهو أن الله سهل لأنبياءه كل ما وصلنا إليه في عصرنا الحديث

من تكنولوجيا، ما معنى هذا؟ سفن الفضاء أليس من أعظم ما وصل إليه العلم الحديث؟ النبي ﷺ قام برحلة المعراج، الطيران والانتقال من مصر لفرنسا لإسبانيا، النبيّ ﷺ قام برحلة الإسراء، المراصد الكبيرة، سيدنا إبراهيم شاهد بالعين المجردة ملكوت السمٰوات والأرض، يحذرنا رب العالمين من التكبر والتعالي عليه، إبراهيم رأى بعينه المجردة ملكوت السمٰوات والأرض، فكأن المعنى:

ان أنبياء اللّه لما اطاعوه أراهم من ملكوته العظيم، فإياكم أن تتعالوا بعلمكم، وإياكم أن تظنوا أن العلم في ناصية والدين في ناصية أخرى.

سفينة الفضاء مهما وصلت لا تستطيع أن تفعل ما فعله النبيّ في ليلة، تذهب وتعود وتنزل في ليلة، لا توجد طائرة تستطيع أن تذهب للقدس مثل البراق، يضع حفره عند منتهى طرفه، هذه هي سرعة البراق، يقول تبارك وتعالى: إياكم أن تظنوا أن التكنولوجيا لا علاقة لها بالدين، وإياكم أن تظنوا أن علمكم يجعلكم تتعاظمون وتقولون: لسنا محتاجين لله، أنبيائي من عهود قديمة من ألف وأربعمائة سنة وصلوا إلى ما لم تصلوا إليه، محمد ﷺ صعد إلى الفضاء وصعد إلى المعراج ووصل إلى القدس، وإبراهيم شاهد الملكوت، وأنتم إلى الآن بالمراصد العظيمة والتكنولوجيا لا تستطيعون أن تروا ما رآه إبراهيم عليه السلام.

اصدري أيتها البشرية من التكبر والتعالي على اللّه وإياك أن تظني أنه لا علاقة بين العلم والدين.

هل عبد الخليل غير اللّه؟

الآية التي تليها تقول: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنعام: 76]، هنا أمر مهم، هل سيدنا إبراهيم كان كثير الشك؟ هل سيدنا إبراهيم عبد النجوم؟ هناك من قال ذلك، قلت: هو في البداية مر بمرحلة الشك إلى أن وصل للهداية إلى الله تبارك وتعالى، في البداية عبد نجماً ثم كوكباً ثم الشمس مثلما ذكرت الآيات، تعالوا نقرأ الآيات: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ﴾، عندما غاب النجم جاء آخر ثم قال: ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ﴾، لا أريد أن أعبد ما يغيب.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: 77-79].

ما الموضوع؟ عندما هاجر سيدنا إبراهيم هذه المرة وصل للشام فوجد بلدة اسمها: حران، وكان أهل هذه البلد يعبدون النجوم، لم يسجد إبراهيم لصنم قط ولم يعبد إلا الله، إذن لماذا قال: «هذا ربي» بدأ يمشي معهم بطريقة متدرجة، تعرف الذي يأخذ أحداً على مقدار عقله يقول له: أنت تقول كذا، حسناً سنفترض مثلاً أن هذا القمر ربي، هل أعبد شيئاً يغيب؟ أراد إبراهيم عليه السلام أن يتدرج معهم في الدعوة، فسيدنا إبراهيم اتبع طريقة إنسان عاقل ناضج ومُفَكِّر، وقد ذكرت قبل ذلك أن سيدنا إبراهيم يجمع بين أمرين عاليين جداً، ويا ليت شبابنا يتمتعون بهذين الأمرين، حماسة عالية، متفجرة، وعقل ناضج، تشعر أن سيدنا إبراهيم يكلم الناس بلغة عقولهم، المرة التي مضت علق المِعْوَل على الصنم الكبير وقال لهم: بل فعلها كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون، وهذه المرة هؤلاء الناس كانوا يفعلون شيئاً غريباً جداً: طوال النهار ليس لهم علاقة بالعبادة، عبادتهم بالليل حيث يخرجون بالليل، كل منهم يختار له نجماً في السماء ويقول: هذا النجم سأعبده اليوم، ويجلس يعبده، طبعاً هو ذهب إلى البلد ووجد الناس بهذا المستوى وهم يجلسون طوال الليل، يا إلٰهي: إلى أن يختفي فيقول: إلٰهي لم يعد يريدني أن أعبده اليوم، سآتي غداً ويأتي غداً، يبحث عن إلٰهه فتجد اثنان يختلفان يقول أحدهما: هذا الإلٰه لي ويقول له الآخر: إنه لي.

ما قيمة ذكاء بلا هداية؟

أحبائي، عندنا يبتعد العقل البشري عن الله يُضِلّ، أنتم ضحكتم أليس كذلك؟ الإنسان من غير هداية عقله يضحك عليه مثلما ضحكتم على غاندي، غاندي هذا كان شخصية عظيمة يعني: قدم لبلده أشياء عظيمة جداً، وكان لديه رجاحة عقل، وصلابة غير عادية، وشخصية أجمع العالم على أنها شخصية عظيمة لكن سجوده للبقرة وتدليك جسمه بروثها، تتخيل هذا؟ ومع ذلك كان شخصية عظيمة، لكن للأسف العقل البشري لو لم يهتد بنور الوحي، أي: بهداية الله يضيع ويُضْحَك عليه، وتجد خبلاً وضياعاً، ليس بالضروري أن يكفر يعني: تجد شيخاً كبيراً يغازل الفتيات الصغيرات، تضحك عليه وتقول: ما هذا الرجل المجنون؟ العقل من غير هداية يضل، ولذلك إياك أن تعتمد على ذكائك فقط، ذكاؤك بدون لجوء إلى الله تبارك وتعالى يضيعك، لا يهديك، لقد سمعنا عن أذكياء كثيرين ضلوا فإياك أن تستضيء بذور عقلك دون نور الهداية، ضع ذكاءك على هداية الله ﷻ لك، واستعن بالله باستخدام الذكاء لمرضاته، يوجد أناس من أصحابكم في قمة الذكاء لكن للأسف يستخدمه في المعاصي، ماذا تقول عندما ترى فتاة ذكية جداً تصادق شاب مدة من الزمن بدون معرفة والديها، ما قيمة ذكائها بدون هداية؟ فلذلك هؤلاء الناس كانوا بلا هداية،

فسيدنا إبراهيم بمنطق العقل العالي جداً يريد أن يأخذ بأيديهم، وأبداً ما كفر إبراهيم وما عبد نجماً.

كيف تدعو إلى الله؟

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: 75]، إذن مستحيل فهذا الكلام مردود ومرفوض، فهو يأخذهم خطوة خطوة، فخرج معهم بالليل يعني: سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يغلق على نفسه وقال لهم: أنا لا أعرفكم وليس لي علاقة بكم، لا، بل خالطهم وتعامل معهم، فما بالكم بشباب نسمع عنهم يقول لك: ليس لي علاقة بالناس سأتركهم ولن أتكلم معهم، أصبحت متديناً وهذا المجتمع ضائع، من أين لك بهذا الكلام؟ فما بالكم لو كنا في مجتمع مسلم مثل مجتمعنا، سيدنا إبراهيم عليه السلام في وسط هؤلاء الناس لم يتركهم، وإنما خرج معهم بالليل وهم ذاهبون للصحراء يعبدون النجوم حتى يأخذ بأيديهم خطوة خطوة.

أيها الأحبة، فكرة أن تترك الناس وتعتزلهم مرفوضة إسلامياً، يقول النبي ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه»[1].

إذن من أفضل مِن مَنْ؟ الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أم الذي يعتزل الناس؟

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ﴾ [الأنعام: 76]، خرج معهم وكل منهم جالس يعبد إلٰهه ويدعوه، فسيدنا إبراهيم عليه السلام جلس في وسطهم ونظر إلى نجم وبصوت مرتفع حتى يجذبهم؛ لأنهم يعلمون أنه رجل غريب عن البلد، ويبدو أنه لا يعبد ما يعبدونه فإذا قال: هذا ربي سيلتفون حوله، فتجمعوا كلهم حوله فظل يسبح وهم يقولون الذي يقوله، انظر إلى منطق المسلم يسبح وينظر إلى السماء ويتفكر في ملكوت السمٰوات والأرض، وهم يعيشون على ما هم عليه، هو منتظر أن يقترب الليل من الانتهاء والصبح من الإقبال واختفى النجم فقال: لا أحب الآفلين ما هذا إلٰه يذهب؟ لا أنا لا أعبد شيئاً يذهب، فبدأ العقلاء يخجلون من أنفسهم، صحيح معه حق، انظروا الفرق بين هذا المنهج ومنهج الناس المتشنجة التي تفهم الدين والتدين بشكل خاطىء، كل شيء حرام وكفر وصراخ، انظر المنهج العاقل منهج الإسلام، نتمنى أن يكون المسلم مدركاً أنه شخص ناضج، معك الحجة القوية لماذا التعصب والتشنج والشتم في هؤلاء؟ وتقول على هؤلاء كذا وهؤلاء كذا؟ كن عاقلاً وتعلم

(1) أخرجه ابن ماجه في (الحديث: 4032).

من سيدنا إبراهيم عليه السلام أين الرزانة وأنت تأخذ الناس خطوة خطوة، سيدنا إبراهيم عليه السلام كان مع أناس غير مسلمين فما بالكم لو أننا نتعامل مع أناس مسلمين من أهلنا وأقاربنا وإخواننا؟ وانظر ماذا يفعل معهم؟ يأخذهم خطوة خطوة، قال: لا أحب الآفلين، لا، لا، أنا أوافق كلامكم لكن هذا يغيب لن أعبد هذا الإله، سأعبد شيئاً آخر، وفي اليوم التالي ذهب معهم قال لهم: إننا بالأمس عبدنا نجماً صغيراً ثم غاب ما رأيكم أن نعبد شيئاً آخر ينير ويملأ الدنيا؟ ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: 77]، فانتقلوا معه وبدأ يقودهم لا لعبادة الأصنام أو لعبادة النجوم، ولكن يقودهم لإصلاح الفكر خطوة خطوة، فبدأ ينظر إلى القمر، انظروا لمنهج الأنبياء نحن الآن نسمع عن المنهج العلمي، ما رأيكم في المنهج العلمي؟ أرأيتم ماذا علمنا القرآن.

القرآن ليس مجرد قصص ومواعظ وعبر، انما هو منهج متكامل والعقل فيه له المكانة الكبيرة.

كيف يصبح المسلم ناضجاً؟ كيف يأخذ بأيدي الناس؟ هذه الآيات تعلمك كيف تأخذ بيد صاحبك؟ استخدم العقل، سيدنا إبراهيم عليه السلام فكر وتحرك، أنت أيضاً فكر ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾، فظل معهم طوال الليل ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾، قال لهم: أيها الناس، هذا الأمر لا ينفع لا بد أن يوجد إله هو الذي يجعل هذه الأشياء تأتي وتغيب، يريد أن يرتفع بتفكيرهم، ثم في اليوم التالي نهاراً. ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ [الأنعام: 78]، قال لهم: لماذا الليل؟ ممكن يكون بالنهار، هل لاحظت ماذا سيفعل معهم، لماذا لا تتعبدون إلا بالليل يمكن الإله يكون في النهار، يريد أن يعلو بهم عن المفاهيم الفاسدة، تعالوا نجلس لنعبد الشمس ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾، الشمس تملأ السماء وشديدة الحر والنور، هي أقوى اجلسوا واعبدوا ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾، بالمنطق الذي تتكلمون به إذن نعبد الشيء الكبير ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾، أول ما جاء الغروب ووجدوا الشمس القوية تضعف وتنهار وتنزل وتغيب وتندثر فقال: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾، أسلوب راقٍ اتبعه سيدنا إبراهيم عليه السلام، كل ما تعبدونه لا يصلح، واجههم بالحقيقة بمنتهى القوة ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: 79]، سبحان الله، هذه الآية كلها يقين وقوة.

أيها الناس، أنتم تبحثون عن الذي يغيب وتعبدون شيئاً يغيب أنا أعبد الله الحي القيوم الذي لا يغيب ولا يخفى. قيوم السماوات والأرض، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام.

اي الفريقين أحق بالأمن؟

قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾، كلمة «حنيفاً» تعني: البعيد كل البعد عن الشرك، إذن كيف يُعْبَدُ النجم؟

قال تعالى: ﴿حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنعام: 79، 80]، رفضوا الإسلام أيضاً وواضح أنهم بدؤوا يهددونه، كلما ذهب لبلد تحدث له مواجهة: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾، اقرأ معي الآيات الجميلة جداً: ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، قال لهم: وكيف أخاف ما أشركتم؟ تريدونني أن أخاف منكم؟ ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 81]، معنىً جميلاً جداً، من الذي يخاف وهو يقول لهم أنتم تريدونني أن أخاف وأنتم أصلاً لا تخافون أنكم أشركتم بالله، فأي الفريقين أحق بالأمن؟ من يخاف أكثر؟ الآية التي تليها لنا جميعاً، هل منكم من يخاف يا إخوة؟ خائف من المستقبل، خائف على أولادك، خائفة من تعامل زوجك معك، خائفون من الرزق، اسمع الآية ماذا تقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: 82]، لا تخطىء في حق ربك اضمن الأمان، هل توافق على هذه القاعدة القرآنية أم أنك تشك فيها؟ هذه القاعدة القرآنية أهديها لنسائنا، أهديها لشباب تخرّج وهو الآن خائف من المستقبل؟ وكيف سيكون حاله؟ وعنده حالة من الذعر والرعب من المستقبل وكيف سيتزوج وماذا سيعمل و.. و.. إلخ، أهديها لرجال كبروا في السن وهم خائفون على أولادهم لمن يتركونهم؟ يا إخوة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾.

لا مفر:

نظرية الأمن في الإسلام قائمة على أمرين: تؤمن ولا تظلم، لو آمنت ولم تظلم أضمن لك الأمن إلى أن تموت، وهذا وعدٌ ربانيّ، ولذلك الرجل الذي يظلم زوجته لن تأمن، ليس لك أمن في هذه الدنيا، وسيملؤك الرعب وستهاجمك المخاوف من كل مكان، السيدة التي تظلم خادمتها ليس لك أمن في هذه الدنيا، الأب والأهالي الذين يظلمون أولادهم بتربية سيئة أو الذي يظلمون بناتهم بتزويجهم من أي إنسان أو أنه يرفض لمجرد الرفض، أو لأنهم يريدون رجلاً غنياً و.. و.. هذا ظلم للفتاة وسَتُحَاسَبُ عليه وليس لك أمن في الدنيا، وإذا زوّجتها صاحب المال الكثير سينقلب عليك وعلى ابنتك وسيؤذيكما معاً.

يا أحبائي، قاعدة الإسلام للأمن في الدنيا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، اسأل نفسك كل يوم أنا ظالم أم لا؟ أنا مؤمن أم لا؟ ولا تخاف بعد ذلك أن يصيبك شيء، لك الأمن في هذه الحياة، يا مؤمن، يا من بعدت عن الظلم، ولذلك عندما تشعر أن هناك مشكلة ستصيبك في حياتك تعلّم هذه القاعدة وهي أن تسأل نفسك سؤالين: هل أنا ظالم لأحد؟ إذن لماذا أخاف؟ ما شكل إيماني؟ هل أصلي في المسجد؟ لماذا لا أصلي في المسجد؟ ما علاقة الإيمان بصلاتي في المسجد؟ انتبهوا، هذا الكلام للرجال، قال النبيّ ﷺ: **«إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان»**[1]، يعني: لو أنا مداوم على الصلاة في المسجد يشهد النبيّ ﷺ لي أنني مؤمن، ليس معنى هذا أن الذي لا يصلي في المسجد ليس مؤمناً، لكن الذي يصلي فيه موقنون أنه مؤمن، أما بالنسبة للنساء، فالإيمان عندهن أن تصلي في أول الوقت وألا تظلم أحداً، إذن أنت بهذا تكون في أمان والأمان بنص الآية من سورة «الأنعام»: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: 82، 83]. من الذي علمك يا إبراهيم كل هذه الحجج العظيمة؟ الله تبارك وتعالى، وأنت أيضاً بصلتك بالله يؤتيك الحجة.

ادب مع الله:

اضطر سيدنا إبراهيم عليه السلام للهجرة للمرة الثالثة، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: 69 ـ 77]، أحب أن ألفت النظر لآيات جميلة جداً، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾، كلهم عدو لي إلا رب العالمين، ثم قال كلاماً جميلاً جداً، ما المنهج هذه المرة؟ مرة يستخدم المنهج العقلي ومرة يستخدم منهج المنطق، ومرة يأخذ الناس خطوة خطوة، أما هذه المرة فهو يركز على العاطفة يوقظك من داخلك، اسمعوا وهو يكلمك، أريدك وأنت تسمع هذه الآيات أن تشعر كأنك تتعامل مع الله تبارك وتعالى، وتسمع منه، وتضع نفسك مكان هذا الشخص الذي يتكلم عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء:

(1) أخرجه ابن ماجه في (الحديث: 802)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 3/ 68).

78 ـ 82]، الحقيقة هذه الآيات في غاية الرقة، والحقيقة أن فيها معنًى جميلاً جداً، انتبه، أنه في كل مرة يبدأ بكلمة: «الذي» الذي خلقني فهو، والذي هو يطعمني ويسقين إلى أن وصل إلى الآية التي تقول: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾، في كل الآيات قال: الذي هو، لكن في هذه الآية لم يقل كلمة «هو»، القرآن ليس فيه حرف زائد حتى كلمة «هو» لها أهميتها، يوجد أناس كثيرون نسيت أن الخالق هو الله فوضع لفظ «هو» ليثبتها في القلب، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾، أناس كثيرون تظن أن أرزاقها بيد غيرها، وأن طعامها وشرابها بيد غيرها فقال كلمة: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾، وأناس كثيرون تعتقد أن الذي يشفيها هو الطبيب، وهذا الطبيب ليس إلا سبباً للشفاء، فقال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾، لكن كل الناس تعلم من الذي يحيي ويميت فلم يقلها! توجد كلمة أخرى جميلة جداً في هذه الآية: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾، لاحظتم أنه من قبل كان يقول: «خلقني ـ يطعمني ـ يسقين»، فكان من الطبيعي أن يقول: «والذي أمرضني»، لكنه لم يقلها لماذا؟ لأن من الأدب مع الله أنك لا تقول: هو الذي أمرضني، انظر لأدب إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾، عندما أمرض هو الذي يشفيني، يا إخوة يوجد نساء ورجال تقع في هذا الخطأ يعني: يقولون: لماذا فعل الله فيّ هذه المصيبة، وأنا منذ عشرين سنة أعبد الله؟ هذا كلام لا يقال! انظر لأدب سيدنا إبراهيم عليه السلام، أين الأدب مع الله؟ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الشعراء: 80-83].

الهجرة إلى مصر:

واضطر سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يهاجر للمرة الخامسة، وهذه المرة ذهب إلى مصر، وبدأ يكبر في عمره فهو الآن في سن الأربعين أو الخمسين، لا نعرف على وجه التحديد كم كان عمره في هذه المرحلة، لكن كم مواجهة مر بها حتى الآن؟ أربع أو خمس مواجهات، هو الآن ذاهب إلى مصر داعياً إلى الله، وكان يحكم مصر في هذا الوقت الهكسوس، وكان فيها ملك ظالم طاغية وكان يهوى النساء، ولا يعرف بوجود امرأة في أرضه جميلة إلا اشتهاها، فبلغ الملك دخول رجل معه امرأة آية في الجمال إلى أرض مملكته، أبلغوه أنهم لم يعلموا على وجه الأرض امرأة أجمل من المرأة التي دخلت إلى دياره، فأرسل إليها، وقال لهم: ائتوني بها، وإن كان الذي معها زوجها فاقتلوه، فأنبأ الله سبحانه وتعالى إبراهيم بما يُدَار له وبما يُدَبّر له، فقال إبراهيم عليه السلام لسارة: إذا جاؤوك فسألوكِ عني فقولي لهم: هذا أخي، هل هو كذب أم تعريض؟ هو لم يكذب؛ لأنها أخته في الإسلام، ثم قال لها كما ذكر البخاري:

«**فوالله ما على الأرض مؤمن غيري وغيرك**»[1]، تخيلوا كيف كان الوضع على الأرض؟ بخلاف وضعنا الآن؟ لهذا يا إخوان لا أحد يقول: الناس ضائعة ولا توجد فائدة على الأرض.

الأرض كان وضعها أصعب في وقت سيدنا ابراهيم بنص الحديث الذي يرويه البخاري: «فما على الأرض مؤمن غيري وغيرك».

ستسأل أين لوط؟ سيدنا لوط كان مقيماً في مكان آخر في الشام، لكن هذه الأرض التي هم فيها ليس فيها مؤمن غيرهما.

هل كذب خليل الرحمن؟

جاء الحرس إلى إبراهيم وإلى سارة فقالوا لها: من هذا؟ فقالت: أخي، فأرسلوا إلى الملك أنه ليس زوجها فقال: احبسوه وأتوني بها، فمسكوا سيدنا إبراهيم، وأُخِذت سارة إلى الملك وقبل أن أكمل القصة أريد أن أقول أمراً سريعاً، سيدنا إبراهيم عليه السلام له ثلاث كذبات هي ليست في الحقيقة كذباً بل هي تعريض، مرة قال: إني سقيم، ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩﴾ [الصافات: 88 ـ 89]، ومرة قال: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾، أما عندما قال: ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾، فهذا ليس كذباً إنما هو منهج يرتقي به بالناس، أما الثالثة عندما قال لها: قولي لهم هذا أخي، يقول النبيّ ﷺ: «**لإبراهيم ثلاث كذبات قال: إني سقيم، وقال: بل فعلها كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون، وقال لسارة: قولي لهم هذا أخي**»[2]، أنا أقول هذا الكلام لأننا عندما نقابل سيدنا إبراهيم عليه السلام يوم القيامة وكل البشر في وقفة الحشر وقد اشتد الحر، والناس وجلون يريدون شفاعة عند الله قبل بدء الحساب، فيذهبون إلى سيدنا إبراهيم: يا إبراهيم يا خليل الرحمٰن اشفع لنا عند ربك عندما يبدأ الحساب فيقول: نفسي نفسي، لقد كذبت ثلاث كذبات، لست لها، لست لها، ليس كذباً إنما تعريضاً، سيدنا إبراهيم بسببهم يقول: أنا لا أستحق أن أشفع أنا كذبت ثلاث كذبات، فما بالكم بأناس حياتهم قائمة على الكذب؟ وما بالكم بفتيات يكذبن على آبائهم وأمهاتهم ملايين الكذبات كل يوم، وسجل السيئات تكتب فيه سيئة وراء سيئة وراء سيئة، يقول النبيّ ﷺ: «**إن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب** ـ يبحث عن الكذب ـ

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 3357)، و(الحديث: 3358)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 2/ 403).

(2) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 3361)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 479)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 2434).

حتى يكتب عند الله كذاباً ـ ينادى عليه يوم القيامة يا فلان الكذاب ـ **وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً»**[1] ـ فلان الصديق الصادق تعال قف بين يدي الله، إياك والكذب، نقِّ هذا اللسان من الكذب على قدر المستطاع، تأتي مرة السيدة أسماء بنت أبي بكر إلى الرسول فتقول: يا رسول الله، يقولون لي: أتحبين هذا الطعام وأنا أشتهيه أقول: لا، لا أحبه ـ أقول أي كلام ـ فقال النبيّ ﷺ: **«إن الكذبة تكتب عند الله كذبة حتى تكتب الكذيبة كذيبة»**[2]، يعني: لا يوجد كذب أبيض، نقول: هذه كذبة بيضاء، أنا أمازحك، حتى تكتب الكذيبة كذيبة وكذيبة على كذيبة إلى أن تصبح كذباً ثم تكتب عند الله كذاباً.

أمّن يجيب المضظر إذا دعاه:

وتؤخذ سارة إلى الملك، انظر المرأة المؤمنة مع هذا الرجل الذي يريد منها الفاحشة ولا يتورع أن يفعل ما يشاء فقالت للحرس: «أريد شيئاً قبل أن أدخل عليه»، قالوا: ماذا تريدين؟ قالت: «أتوضأ» ـ هذا الحديث رواه البخاري ـ وكأن الوضوء كان موجوداً فتوضأت، امرأة نقية طاهرة ودخلت على الرجل وأول ما توقفت أمامه بدأت تقول: **«اللهمّ إن كنت تعلم أني قد آمنت بك وبرسولك وحصّنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلّط عليّ هذا الكافر فشلت يد الملك»**[3].

هذا الكلام نعلمه لنسائنا، هي لم تكن نبية، هي امرأة غاية في الجمال لكنها عابدة من عباد الله، طائعة له، مهما كانت المرأة في غاية الجمال لا بد أن تكون طائعة لله، وعليها أن لا تستخدم جمالها لأي معصية، قالت: «اللهمّ إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي هذا الكافر»، فشُلّت يد الملك فقالت سارة: «يا رب»، إن ظل كذلك يقتلونني به، رد إليه يده يا رب، فعاد إلى الملك قوة يديه، تخيل علاقتها بالله تدعو فيحدث الذي تقوله، يا سارة، ألست تقية وطائعة لله تبارك وتعالى؟ إذن ما تطلبين سيحدث فوراً فهي خافت أن يقتلوها؛ لأن يده شلت قالت: «يا رب، أخاف أن أقتل به رد إليه يده»، فرد الله عليه يده فهاجمها مرة أخرى وأراد أن يمسها فقالت: «يا رب، اللهم إن كنت قد آمنت بك وبرسولك وحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي هذا الكافر» فشلت للمرة الثانية فَهَمّوا أن يقتلوها فقالت: «يا رب، أخاف أن يقتلوني به»، فرد

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 6094)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 6579)، و(الحديث: 6581).

(2) ذكره **الزبيدي** في «إتحاف السادة المتقين» (7/ 531).

(3) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 3358).

إلى الملك قوته، فهاجمها للمرة الثالثة، فقالت: «يا رب، اللهمّ إن كنت قد آمنت بك»، لماذا تكرر الأمر ثلاث مرات؟ كأن الله يعلمها ويعلمنا معها أنني قريب منكم ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: 62]، من يجيب وقت الشدة، إنه الله ﷻ.

حافظي على هذا الجسد:

أريد أن ألفت نظر بناتنا للسيدة سارة ومدى حرصها على عفتها، وعلاقتها بالله الذي يستجيب دعاءها حالما تدعوه، هناك بعض الفتيات تسمح للرجل بلمس يدها أو يغازلها أو يفعل معها الفاحشة وبعدئذ تبدأ بالندم، وهذا لأنها سمحت له بذلك قبل الارتباط الشرعي بها، فكيف يبارك الله به؟

جاءت النساء لتبايع النبيّ ﷺ في فتح مكة، فقال لهن من ضمن بنود البيعة على ألا تزنين، فهند بنت عتبة زوجة أبي سفيان التي وصّت وحشياً أن يقتل سيدنا حمزة كانت واقفة وكانت قد أسلمت فقالت: يا رسول الله، أوتزني الحرة؟ كيف تبايعنا على هذا؟ هل توجد حرة تزني؟ التي تفعل الزنى هي من العبيد لكن الأحرار لا يفعلون ذلك، يا إخوة، هذا كان من ألف وأربعمائة سنة، الناس تقول عهود التخلف والرجعية خرجت واحدة تقول له: يا رسول الله، كيف تبايعنا على هذا؟ فسكت النبيّ لماذا سكت النبيّ ﷺ؟ سكت لأن معها حق، هذا الآن، لكن الأجيال القادمة سيحدث فيها وللأسف الزنى وانتشاره لن يقتصر في طبقة دون طبقة بل في معظم الطبقات.

يا فتيات، تعلمن من السيدة سارة أن تحافظن على أنفسكن، وعلى الجسد الذي أعطاكن الله تبارك وتعالى اياه.

يا شباب، عقوبة الزنى شديدة عند الله وأقول هذا الكلام خصوصاً في بداية الصيف وانتشار الحرية، واختلاط الشباب مع الفتيات في أماكن عدة، هذه المعصية شديدة، يقول النبيّ ﷺ: «**بينما أنا نائم الليلة أتاني آتيان من عند ربي فقالا لي: قم معنا يا محمد** ـ قم خصيصاً ـ **قمت معهما فأتياني على تنور** ـ فرن ضخم جداً يمتلىء بالصراخ ـ **فقلت له: ما هذا؟ فقيل لي: انظر، فنظرت فإذا رجال ونساء عراة تأتيهم النار من أسفل منهم فقلت: من هؤلاء؟ فقيل لي: هؤلاء هم الزناة والزانيات**»[1]، عذاب شديد للزناة والزانيات.. تعلموا العفة الشديدة وحرص المرأة على نفسها، دعت السيدة سارة نفس الدعوة ثلاث مرات والله

(1) أخرجه **البيهقي** في «السنن الكبرى» (الحديث: 4/ 216).

قريب من عباده المؤمنين، عرفتِ الله وحافظت على نفسها في الرخاء، فحافظ الله عليها في الشدة.

حافظي على نفسك وقت الرخاء يحافظ الله عليك وقت الشدة.

تدبير إلهي:

وترجع سارة لإبراهيم، لكن الملك من كثرة خوفه منها قال: أخرجوها فإنما هذه شيطانة، وقال: أهدوا إليها حلياً وذهباً وفضة؛ لأنه خائف منها فقال: حتى لا تدعو عليّ بعدما تخرج فتشل يدي، انظروا لقوة المؤمن، وأهدوا إليها هذه الجارية، من هي؟ هاجر، انظر لتدبير الله في الكون، ما الذي أتى بسيدنا إبراهيم لمصر ويجعل هذا الرجل يأخذ السيدة سارة، ليصل في النهاية أن السيدة سارة تأخذ السيدة هاجر لتهديها لإبراهيم؟ لأنه مطلوب أن هاجر تنجب إسماعيل عليه السلام ويأتي منه العرب كلهم، ويكون منه محمد ﷺ، بالله عليكم هل هاجر أو سارة أو إبراهيم أو الملك يعلمون أن هذه القصة كلها من أجل أن يخلق الله نبينا محمد ﷺ؟

يا أمة، الله عز وجل يدبر الكون وأنت لا تدري ماذا سيحدث؟ أنت تعبده وترضى بحكمه وتقول له: رضيت بك رباً.

نموذج في الكرم:

فتؤخذ ـ سبحان مدبر الأمور في السمٰوات والأرض ـ وتذهب إلى إبراهيم وإلى سارة وتظل خادمة عند سارة، لكن سارة تجد أنها تكبر في السن وما عادت تلد لقد تعدى إبراهيم الثمانين من عمره، سيدنا إبراهيم في هذا الوقت كان يعمل بالتجارة وقد رزق مالاً كثيراً وصار من الأغنياء، وكان من كرمه استخدامه المال لدعوة الناس فكان لا يأكل بمفرده أبداً، هذه لفتة لطيفة: لا يستطيع أن يأكل بمفرده أبداً، نحن أحياناً يكون عندنا ضيوف ونريدهم أن يذهبوا بأي طريقة لماذا؟ حتى نأكل، مع أن النبيّ ﷺ يقول لك: «**طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة**»[1]، الأكل يكفي يا إخواني، والله يبارك، ما معنى طعام الاثنين يكفي الأربعة، اجلسوا وكلوا والله سيبارك فقط تجمعوا على الأكل، تخيلوا ماذا كان يفعل النبيّ ﷺ؟ النبيّ شديد الشبه بإبراهيم عليه السلام، في رمضان إذا جاء وقت السحور، كان الرسول ﷺ يقول: «**يا زيد، اقترب الفجر ابحث لي عن من يتسحر معي فإني لا أحب أن**

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 5336)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 1820)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 3254)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 3/ 301، 382).

أتسحر وحدي»، حتى في السحور يا رسول الله، وفي الليل تريد من يتسحر معك، وأنت كم وجبة تأكلها مع أحد الناس وكم وجبة تأكلها بمفردك؟

واغتنى سيدنا إبراهيم، واستخدم ماله في هداية الناس وفي طاعة الله، وفي جلب الناس إلى الطاعة.

حب عظيم:

وكبر سيدنا إبراهيم فقالت له سارة: أراك تحب الولد، ليس معنى أنه نبي يا إخوة أن عاطفة الأبوة ليست موجودة عنده، لكن حبه لسارة جعله لا يقبل أن يتزوج إلا بإذنها، وهي التي اقترحت عليه الزواج، ما رأيكم في مقدار حبها له؟ تخيلوا امرأة تعرض على زوجها هذا الأمر، إذن هي تحبه جداً، هذا البيت واضح أنه كان مليئاً بالحب، يا شباب، إن كنتم تريدون أن يدوم الحب بعد الزواج، فتزوج امرأة صالحة وأنتِ تزوجي رجلاً صالحاً، واتفقوا أن تكون حياتكم كلها طاعة، انظروا ماذا يقول القرآن: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: 109]، على ماذا تحب أن تؤسس بيتك؟

يا أحبائي، أسسوا بيتكم على الطاعة، يديم الله بينكم الحب مثل إبراهيم وزوجته عندهم ثمانون سنة، تخيلوا، عندهم ثمانون سنة وهي التي تعرض عليه أن يتزوج، ما هذا الإيثار؟ وهو طوال ثمانين سنة لم يفكر أن يتزوج، هذا حب كبير جداً، سأسرد لكم قصة حدثت معي وأنا في بريطانيا، تعرفت على رجل هناك بعمر الخامسة والستين وكان زائراً، فطلب مني أن أرافقه إلى أشهر محل ليحضر لزوجته هدية أنيقة، وكانت زوجته بعمر بضع وستون، وكان يتصرف كأن عمره عشرون سنة فهو يحاول أن يختار لها الأحلى والأجمل وعندما عدنا إلى مصر وقمت بزيارته وجدته هو وزوجته يقرؤون القرآن، فقلت: لهذا ما زال يحبها، الحب ما زال موجوداً؛ لأن طاعة الله موجودة، تعلموا يا شباب.

سيدنا إبراهيم عليه السلام تزوج هاجر بناء على رغبة سارة، ثم حملت بعد الزواج مباشرة، وأنجبت إسماعيل عليه السلام، وأصبحت هاجر المصرية أم العرب كلهم، وهذا شرف لنا كمصريين.

غيرة سارة:

ثم إن السيدة هاجر بدأت تفرح بإسماعيل وبدأ إبراهيم يفرح بإسماعيل، فحدث ما كان متوقعاً، وهو غيرة سارة، كانت غيرة شديدة، سبحان الله! أليست هي من طلبت منه أن

يتزوج؟ لكن الغيرة جزء في تركيبة المرأة، غارت غيرة شديدة لدرجة أن هاجر كانت إذا مرت على إبراهيم، مثلما تقول بعض الآثار: كانت تمسح آثار أقدامها، حتى لا تثير غضب السيدة سارة، من آثار الأقدام، فقالت السيدة سارة لسيدنا إبراهيم: لا تجمعها معي في مكان واحد خذها إلى مكان آخر ـ سبحان الله ـ وبدأ سيدنا إبراهيم، حباً وإرضاءً لسارة، يبحث عن مكان آخر تقيم فيه هاجر، حتى لا يغضبها.

ليس عندنا هنا نساء تغير، هنا لفتة لطيفة جداً، أنه على الرجال أن يعلموا أن الغيرة جزء من تركيبة المرأة، والمرأة إن لم تشعر بالغيرة إذن هناك شيء خطأ، رجال كثيرون يعاقبون المرأة ويحاسبونها حساباً شديداً على غيرتها، وهو لا يعلم أن هذا جزء من تكوينها، هذا معنى الحديث: «**إن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإنك لو ذهبت لتقيمها كسرتها، فاستوصوا بالنساء خيراً**»[1]، ومن ضمن العوج عاطفتها التي تجعلك تحبها، فاصبر وتعامل معها على أن هذا شيء طبيعي في تكوينها.

موقف عجيب!

والنبيّ ﷺ كان يتعامل بهذه الطريقة مع زوجاته، الرسول ﷺ يدخل مرة على السيدة عائشة، فتناديه السيدة حفصة، فيذهب فتعطيه قصعة مملوءة باللحم والأرز، قصعة كلها فخار وممتلئة باللحم، ففرح بها النبيّ، فغارت السيدة عائشة، لما رأت فرحة النبي، فالنبي وضع الأكل ونادى الصحابة، فخرجت السيدة عائشة ودفعت القصعة برجلها فَكُسِرَت ووقع الأكل، تخيل لو زوجتك فعلت هذا الموقف أمام أصحابك ماذا ستفعل معها؟ تخيل زوجتك قطعت لك بذلة؟ لأنها غارت يعني أقلها أن تضربها، لكن النبيّ لم يضرب امرأة أبداً، من يقول لك: إن الإسلام يحرض الرجال على ضرب النساء، فرسولك لم يمس امرأة ولا خادماً قط، ما ضرب بيده أبداً إلا أن يجاهد في سبيل الله.

فوقف الصحابة مذهولين، لكن انظر ماذا سيفعل النبيّ ﷺ الذي يعلم أن هذه طبيعة المرأة، ويعلم ما هو الدواء؟ الدواء في الحِلْم، هناك من يقول: لو تركت لها الأمر لن تحترمني يجب أن أؤدبها، لا يا إخواني هذا خطأ، المرأة تعرف رجولتك بصبرك عليها، وأي امرأة تجد أن زوجها قادر أن يؤذيها ولم يفعل وصبر عليها تحترمه أكثر وتحبه أكثر، انظر للنبيّ ﷺ ماذا فعل؟ نزل الرسول ﷺ على الأرض وبدأ بجمع اللحم المبعثر ويضعه في القصعة المكسورة، ونظر للصحابة الذين يقفون مذهولين وغير قادرين على أن يساعدوه

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 3631).

من كثرة ما هم فيه من دهشة، ويقول لهم: **«غارت أمكم»**، انظروا لحديث النبيّ ﷺ: **«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»**[1]، تستطيع أن تصبر على النساء بهذا الشكل؟ الرجل الذي يصبر على زوجته هو الأكثر رجولة، فيقول لهم النبيّ ﷺ: **«غارت أمكم»**، ولم يقل غارت عائشة، أو غارت زوجتي؛ وهو قلبه لم يتغير، لكن هم من غضبوا، فقال لهم أمكم ليحنن قلوبهم عليها، غارت أمكم، لكن هناك حزم حتى لا تعتاد على ذلك فدخل على عائشة وقال: **«يا عائشة كسرتِ لها قصعة فردي لها قصعة سليمة»**، فقالت: استغفر لي يا رسول الله ـ المرأة تهتز بسرعة ـ فقال: **«يغفر الله لك»**[2].

يا سلام، انظروا للغيرة والحب، هذه هي بيوتنا يا إخوان، نتمنى أن تكون بيوتنا بهذا الشكل.

كان النبيّ ﷺ كثير التكلم عن السيدة خديجة، ويتكلم كلام المحب. أشهر قصة حب في التاريخ حب الرسول للسيدة خديجة. فقالت السيدة عائشة: يا رسول الله، خديجة خديجة، كأن الله لم يخلق إلا خديجة، أما زلت تذكر هذه العجوز، وقد واراها التراب وقد أبدلك الله من هي خير منها؟ النبيّ يقبل الغيرة دون تجريح فقال: **«لا والله ما أبدلني الله من هي خير منها، فقد واستني حين طردني الناس وآوتني حين منعني الناس، وصدقتني حين كذبني الناس»**، فقالت عائشة: استغفر لي يا رسول الله، قال: **«استغفري لخديجة لكي أستغفر لك»**[3]. انظر الحب للزوجة، صلى الله على محمد ﷺ.

لماذا هاجر إبراهيم؟

كنت قد بدأت قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وتوقفت فيها عند بداية تحركه هو وزوجته السيدة هاجر وابنه الرضيع إسماعيل، متجهاً من فلسطين إلى مكان حدده الله من قبل، وأمره بالذهاب إليه هو وزوجته وابنه، تذكر الإسرائيليات: أن السيدة سارة غارت من السيدة هاجر، لأنها أنجبت طفلاً وهي لم تنجب، فبدأت سارة تقول لإبراهيم: لا أريد أن يكونا معي في نفس المكان، عليك أن تأخذ هاجر وإسماعيل وتترك هذا البلد وتهاجر إلى بلدة أخرى. هذا الكلام يا إخوة كلام خاطىء، سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يخرج من فلسطين لمكة إلا بأمر

---

(1) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3895)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 1977).

(2) أخرجه **أبو داود** في (الحديث: 3567)، وأخرجه **النسائي** في (الحديث: 3965)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 2334).

(3) أخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 6/ 117)، وأخرجه **الطبراني** في «المعجم الكبير» (الحديث: 23/ 13)، وذكره **ابن حجر** في «فتح الباري» (9/ 326).

من الله ﷻ، وإلا ماذا تكون السيدة سارة لو صدر منها هذا الكلام؟ تكون ظالمة وسيدنا إبراهيم استجاب لكلامها هو أيضاً ظالم، فعندنا نحن المسلمين لا يجوز أن نقول: إن نبياً من الأنبياء ظالم، فالأنبياء معصومون بعصمة من الله ﷻ، إذن لا إبراهيم ولا سارة أرادوا هذا الأمر أو أرادوا هذا الشر، إنما كان الأمر من الله ﷻ.

خرج طائعاً لله:

يا إبراهيم، خذ ابنك إسماعيل وزوجتك هاجر وانطلق بهما إلى صحراء لا زرع فيها ولا بشر، منطقة جبلية وعرة اسمها مكة، خذهم واذهب بهم إلى هناك، لماذا يا رب؟ ما هي الحكمة؟ يعني: سيدنا إبراهيم خرج من فلسطين إلى مكة وهو لا يعرف لماذا خرج فعلاً، إذن لماذا خرج؟ خرج طاعة لله ﷻ.

اخرج يا إبراهيم من فلسطين إلى مكة من غير أن تعرف السبب، فيخرج سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى مكة، ويأخذ الطفل الرضيع وأمه، وينطلق في هذه الصحراء لمسافة طويلة إلى أن يصل إلى واد لا زرع فيه ولا ماء ولا حتى بشر، أول بشر يطأ هذا المكان ربما من مئات السنين هو إبراهيم عليه السلام، ولك أن تتخيل أنك تأخذ زوجتك وأولادك وتدخل بهم في الصحراء، وتظل تتوغل وتتوغل، إلى أن تصل بهم إلى وسط الصحراء وتتركهم وتعود، هل يستطيع أحد منا أن يتخيل هذا الاختبار الرهيب الذي مر به سيدنا إبراهيم عليه السلام؟

امتثال وإذعان:

الاختبار أن تأخذهم إلى مكة وعندما تصل بهم إلى هناك تعود إلى فلسطين، هل تقول سمعاً وطاعة؟ ما الحكمة؟

انتبهوا يا إخواني أن أوامر الله لعباده نوعان: **النوع الأول**: يفهمك الحكمة ونجدها في كل حياتنا، تعال نرى في حياتنا كيف يتعامل الله معك؟ يعني: بأي الطريقتين سواء في الأحكام أو في أي أمر آخر، الطريقة الأولى أن يفهمك، يقول لك: اعمل كذا؛ لأن فوائدها كذا وكذا، لا تشرب الخمر؛ لأن الخمر يفعل كذا وكذا، هذا النوع يفهمك الله الحكمة منه حتى تزداد ثقة في الله ﷻ، أما **النوع الثاني**: في أوامر الله فهو أن يخفي الله عليك الحكمة تماماً، **الأول**: حكمة ظاهرة جلية لتزداد ثقة في الله ﷻ، **والثاني**: الحكمة خفية، مثل: لماذا يا رب مات ابني؟ لماذا يا رب فقدت هذه الوظيفة؟ لماذا ذهب مالي بعد أن كنت غنياً؟ لماذا أنا رجل طيب؟ لماذا أمر القرآن بهذا الأمر؟ لا أحد يفهم، لماذا، ولماذا، لماذا يستخدم الله معنا هذا النوع من الأوامر؟ حتى يعلمك الطاعة، **الأول**: ليعلمك الثقة في الله يقول لك:

هذه هي الحكمة فتقول: سبحان الله العظيم، الآن فهمت فتزداد ثقة في الله ﷻ، **الثاني**: الله تبارك وتعالى خالقنا، وهو يقدر الأمور للعباد، وعلى العبد القبول والطاعة والتسليم لقضاء الله وقدره.

النوع الثاني هو الذي حدث مع سيدنا إبراهيم: خذ زوجتك وابنك واذهب لهذا المكان في الصحراء، في وادٍ لا زرع به ولا ماء وأجلسهم هناك وعد لفلسطين، وسيدنا إبراهيم عليه السلام لا يسأل، وإنما سمعاً وطاعة، ويأخذ سيدنا إبراهيم السيدة هاجر ويأخذ معها إسماعيل، أريدك أن تسأل نفسك: كم مرة أطعت الله وكم مرة عصيت؟ تقول: سآكل مالاً حراماً يعني سآكل مالاً حراماً، أنا لو تركت هذه الوظيفة سيحدث لي كذا وكذا والأولاد سيحدث لهم كذا!

أين أنت؟

وصل سيدنا إبراهيم عليه السلام، تخيلوا ظل يمشي وسط الجبال إلى أن وصل للمكان الذي أراده الله، نقطة في وسط جبال، وهي الكعبة التي ستكون بعد ذلك وهي فعلاً وسط جبال، فلقد رأيت صورة للكعبة من القمر الصناعي، والله لقد ذهلت، نقطة محوطة بجبال من كل ناحية، لماذا هذا المكان؟ سيدنا إبراهيم عليه السلام ظل يصعد جبالاً وينزل جبالاً، يا رب، الصحراء واسعة، لكني أريدك في هذا المكان المهجور، يا رب، الولد سيموت، موقف صعب جداً حدث لسيدنا إبراهيم، أنا أذكر قصة سيدنا إبراهيم وأنت تخيل نفسك، اعرف نفسك أين أنت؟ أنا أسمع الكلام أم لا؟ ادخل يا إبراهيم، سِر في صحاري، أليس هو خليل الرحمٰن؟ إذن لا بد أن يفعل أشياء مثل هذه، اصعد جبالاً وانزل جبالاً، حتى تصل لهذه النقطة.

حكمة اختيار المكان:

وأنا أشاهد الكعبة من القمر الصناعي ابتدرتني فكرة، الله تعالى اختار هذا المكان لحكمة أرادها، لماذا لم يجعلها في الصحراء وهي واسعة؟ لماذا في هذا المكان الضيق؟ وقلت: لا يمكن أن يكون اعتباطاً معاذ الله وحاشى لله، أكيد هناك حكمة، أتعلمون ما هي؟ إن الله يريدنا أن نكون قريبين من بعض، يريد أن يكون المسلمون ملتصقين ببعض البعض بهذا الشكل، تكون ضيقة ونكون عرقى لكن لا يكون كل منا بمفرده، يمكن أن يكون كل إنسان بينه وبين غيره عشرون متراً، لا، أنا أريدكم كذلك، أريدكم بجانب بعضكم لهذا سأختار مكاناً يجبركم ألا تستطيعوا أن تتوسعوا فيه، ومهما بلغت توسعات الحرم فلها آخر، توسعات الحرم لا يمكن أن تزيد عن مقدار معين، عندما تذهب لأداء عمرة إياك أن تنفر

لأن المكان مزدحم، اعلم أن هذا هو المطلوب، اعلم أن الله فعل ذلك لتكون الأمة واحدة، الحب بينهم يكون كبيراً، أرأيت أن الأمة لم تفهم مراد الله؟ هذا معنى مهم جداً يا إخواني أن نكون في المسجد، وملتصقين ببعض ولا تستطيع أن تجلس جلسة مريحة، الفقير ملتصق في الغني، والشاب في العجوز، والأبيض في الأسود، هذا هو المطلوب، مطلوب أن تكون الأمة منصهرة مع بعضها البعض، سبحان الله، لا يوجد شيء إلا بحكمة، ربما لا تفهم الحكمة، فالله تبارك وتعالى يصنع ما يشاء، فهذا سبب أن يكون هذا الوادي الذي نزل فيه سيدنا إبراهيم عليه السلام بأمر من الله بهذه الصورة.

إذن لن يضيعنا!

ووصل سيدنا إبراهيم عليه السلام ومعه هاجر، وهي لا تدري أن إبراهيم سيرجع من غير أن يخبرها؛ لأنه أمر من الله عز وجل، ووصلوا إلى هناك وأحضر معه شيئاً من الطعام وقربة ماء، ووضعهم ونزلت هاجر ومعها الطفل الرضيع، ثم أخذ الدابة عائداً إلى فلسطين، ما هذا التسليم؟ ما هذه العبودية؟ ما هذا الاستعداد للطاعة؟ راجع نفسك، كم معصية في حياتك لا تستطيع أن تقول لله فيها: سمعاً وطاعة، كم من أمر في حياتك على ذلك؟ سيدنا إبراهيم عليه السلام يُضرب به المثل حتى لا يقول أحد: أنا لا أستطيع، وهاجر لا تصدق فتجري وراءه: يا إبراهيم إلى من تتركنا؟ وهو لا يرد، لماذا لا ترد يا إبراهيم؟ ليس لديه إجابة، يا إبراهيم، إلى من تتركنا؟ ابن عباس رضي الله عنهما أخبرنا القصة عن النبيّ ﷺ يقول: فظلت ترددها تكراراً وإبراهيم لا يرد، يا إبراهيم إلى من تتركنا؟ يا إبراهيم إلى من تتركنا؟ ولا يرد إبراهيم، فقالت هاجر المؤمنة الواعية: يا إبراهيم آلله أمرك بهذا؟ فأومأ برأسه أي نعم، فقالت: إذن لن يضيعنا. هل توجد نساء مثل هاجر؟ تقول: الله لن يضيعني، السيدة التي يؤذيها زوجها من عشر سنين وتبكي ليل نهار وتقول: من ينقذني؟ ماذا أفعل؟ جعل الأولاد سيفاً على رقبتي لا أستطيع أن أطلب الطلاق، أليس الله معك؟ لن يضيعك، لو زوجك يؤذيك فالله موجود، كيف سيضيعك؟ لو مديرك يضايقك فالله موجود لن يضيعك.

يا أخوة، أن الله لن يضيعنا هذه عقيدة يجب أن تكتبها وتنقشها داخل قلبك، ربك لا يضيع عباده، المهم أن تكون طائعاً له، إذن لن يضيعنا.

وينصرف إبراهيم، الحقيقة أن الكلمات لا تعبر، أنا فقط أحاول أن أرسم لكم صورة كأنكم ترونها، تخيلوا هذه الصحراء الواسعة نزلت أنت وزوجتك وابنك الرضيع، وتركتهم ورجعت بالسيارة، وهي تقول لك: لمن تتركنا؟ لا ترد، فتقول لك: أبذلك أمرك الله؟ فتقول لها: نعم، فتقول لك: إذن توكل أنت على الله، فالله لن يضيعنا، نرجع نحن

لأنفسنا، ونسأل: نحن ماذا نفعل؟ أنا لا أوبخكم يا إخواني، أنا أتكلم على نفسي أيضاً، كم مرة قلنا لربنا سمعاً وطاعة رغماً عنا، وكم مرة قلنا له لا، سأعطيك فكرة: هات ورقة وقلماً وارجع بذاكرتك إلى الوراء وقل: كم مرة قلت له سأرجع.. وكم مرة تناسيتِ.. هربتَ من نفسك، وقلت: أنا لن أوجع قلبي وأقول أنا مصاحب لفتاة، دعنا من ذلك، هذا بمعنى: لا، فارجع واسأل نفسك، كم نسبة «سمعاً وطاعة» في حياتك لله؟ وكم نسبة لا؟

تخيلوا يا إخوة أن التي تركت الحجاب كأنها تنزل في الشارع وتقول لله: لا، هذه هي خطورة ترك الحجاب.

حكمة الخفاء:

هناك معنى آخر جميل جداً في هذه القصة، سؤال: هل تظنون أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان يعلم الحكمة من حضوره لهذا المكان؟ لا بل هو يسمع ويطيع، هل تظنون أن هاجر كانت تعلم الحكمة؟ أكيد لا، هل تعتقدون أن سيدنا إسماعيل عندما كبر كان يعلم الحكمة؟ لا، أقول لكم: إن الأغرب من هذا أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ماتا وهاجر أيضاً وهم لا يعلمون الحكمة من هذا الأمر؟ تخيلوا أن الحكمة عرفت بعد آلاف السنين، لأن محمداً ﷺ سيخرج من هذا البلد، وجده الأول إسماعيل يجب أن يعيش في هذا البلد منذ مولده، ولهذا ذهب إبراهيم بإسماعيل لهذا البلد حتى يكون منها محمد ﷺ، حكمة الله تبارك وتعالى لا يجب أن تعرف اليوم إنما يمكن أن تعرف بعد ألف وألفين وثلاثة آلاف سنة، وتموت أجيال وهي ما زالت لا تعلمها، لكن يجب أن تقول سمعاً وطاعة لربك الذي في النهاية يدير الأمر لمصلحة العباد، أراد الله تبارك وتعالى أن يُشَرّف إسماعيل عليه السلام ويُشَرّف إبراهيم أن يكون من نسلهم النبيّ ﷺ خاتم المرسلين، والنبيّ ﷺ الخاتم لخروجه من هذا البلد حكمة أيضاً يريدها الله تبارك وتعالى، يا إبراهيم، يا إسماعيل، يا هاجر، ستتعبون بعض الشيء، وأبدانكم ستوجعكم من المسافة التي قطعتموها لكن النتيجة في النهاية عظيمة، جاء من نسلكم خاتم الأنبياء، يا سبحان المدبر، يدبر الأمر بعد ثلاثة آلاف سنة ويضع له بذوره في الأرض قبلها بثلاثة آلاف سنة.

المدبر هو الله ﷻ:

حوادث تحدث في العالم تهزه كله، وربك يدبر كل صغيرة وكبيرة، يشفي صدر هذا، ويعذب هذا، وينتقم من هذا، ويرد الحق لهذا، ويختبر هذا، ويعرض هذا للفتنة، فسبحان الذي يدبر الكون، وسبحان الذي قلوبنا في يديه، هل ستلجؤون لله بعد هذا الكلام أم لا؟ هل ستخاف من أفعاله معك أم تثق فيه وتتوكل عليه؟ هذه كانت بعض الحِكَم.

لست أنت الرزاق:

ونطرح سؤالاً: لماذا لم يظل إبراهيم معهم؟ إذا كانت الحكمة أن يكون إسماعيل في هذا البلد التي سيخرج منها بعد ذلك محمد ﷺ، فهمنا هذا الأمر، فلماذا لم يبق معهم؟ لو بقي معهم إبراهيم سيساعدهم في إيجاد المأكل والمشرب، والله يريد أن يمنّ هو وحده على عباده بالرزق، اذهب يا إبراهيم والله سيرزقهم، لا تخف على أولادك، عندما تموت من أين سيأكلون؟ إسماعيل من أين أكل؟ وأبوه إبراهيم تركه وذهب، من الرزاق يا إخواني؟ ليس أنت الذي ترزق أولادك، افهم يا ضعيف الفهم، افهم أنك لست أنت الرزاق إنما الله تبارك وتعالى، وليس جهدك هو الذي يأتي بالمال، إنما الله هو الذي يأتي به، اذهب يا إبراهيم وارجع، أنا الذي سأرزق.. ملك الله كبير جداً.

جهاد امرأة:

ويتركهم ويرجع سيدنا إبراهيم ويبدأ العطش الشديد؛ لأن هاجر ظلت تأكل وتشرب حتى نفذ الطعام، وهذا هو المطلوب، ستتجلى قدرة الله ﷻ الآن، لا يوجد طعام وإسماعيل الرضيع بدأ يتلوى ـ مثلما تقول الرواية ـ يتلوى من العطش والجوع، وهاجر الكبيرة هي أيضاً تتلوى من العطش والجوع، والأرض صحراء قاحلة لا يوجد إنسان وطأ هذه الأرض من سنين، انظر الابتلاء الشديد، وتبدأ هاجر تنظر في التلال حولها، لاحظ أنك لو وقفت عند الكعبة ونظرت حولك ستجد جبالاً فقط، لا يوجد أمل لا تحاولي.. أين ستذهبين؟ وتضع هاجر الولد الرضيع الذي يتلوى ويبكي بصوت عال، وتصعد على تل أو على جبل من فوقه لتر ما الذي خلفه؟ أعلمتم لماذا صعدت على الصفا؟ تصعد على الصفا وتنظر لا تجد شيئاً، تنزل وصوت بكاء الولد عالياً فتبدأ تهرول، المكان الذي نجري نحن فيه، هذا هو المكان الذي كانت تسمع من عنده صوت إسماعيل فتجري مهرولة، ثم تتعب من الهرولة فتمشي نصف كيلو، نحن الرجال عندما نذهب سعياً عند الصفا والمروة نتعب، فتخيل أنها تصل للمروة ثم تصعد لتنظر للناحية الثانية، لا أحد، كلها صحراء تخيل؟ هل تتخيلون دقات قلبها؟ هل تتخيلون الانهيار الذي كان بداخلها؟ لكنها قالت: لن يضيعنا الله، صدقت حتى لو كانت مرهقة فلا يمكن أن يضيعها الله، من يتوكل على الله حق توكله فلن يضيعه الله، ثم ترجع فتسمع بكاء الصبي فتهرول وتصعد الصفا، ثم ترجع للمروة.

وياتي من حيث لا تدري!

ظلت تمشي ذهاباً وإياباً سبع مرات بين الصفا والمروة، في المرة السابعة تسمع صوتاً فتقول: صه، صه، يعني: اسكت، تحاول أن تسكت بكاءه لتسمع هذا الصوت، فتتبين أن

هذا صوت بعض المياه بدأت تنبع، تنبع من تحت قدم الصبي، انظر أين هي تبحث ومن أين ستخرج الماء.. من تحت قدمي الصبي.

يا إخوة، الرزق سيأتي، سيأتي من حيث لا تدري، والأعجب من هذا أن من تحت قدمي الصبي، جاء جبريل عليه السلام، فضرب الأرض بجناحه عند قدم إسماعيل فشق بئر زمزم، تخيلوا كيف شق بئر زمزم من ضربة جناحه، تخيلوا مدى نقاء وطهارة وعظمة هذا المكان، ضربة جناح ملك عند قدم نبي، فُجِّرت فبدأت المياه تنبع، فأول ما وصلت المياه بدأت تجمعه؛ لأن المياه خرجت قليلة، لم تخرج مندفعة، فخافت أن تنتهي المياه وهي تريد أن تسقي ابنها فبدأت تجمع المياه وتقول: زم زم، كلمة زم يعني: اجمع اجمع، فجاءت منها كلمة زمزم، كأنها تقول للمياه: لا تهربي، تخيلوا التي تكلم المياه كيف تكون حالتها النفسية؟ وصلت لأي مرحلة، زم زم، يقول النبيّ ﷺ معنى جميلاً جداً: **«رحم الله أم إسماعيل لولا أنها عجلت لكانت زمزم عيناً معيناً»**[1]، كأن النبيّ ﷺ يشير لمعنى العجلة في الإنسان.

تعلمن أيتها الأمهات:

ماذا نستفيد من القصة؟

أول أمر نذكره ونلاحظه خوف الأم على ابنها، وأنا أهدي هذا المعنى لأمهات لم تعد أولادها غالية عليهن، الزمن الذي نعيشه أصبح زمناً غريباً يا إخواني، انظروا لهاجر وللمجهود الذي بذلته، توجد أمهات الآن لا فرق عندها هل ابنها بخير أم لا؟ مؤدب أم لا؟ توجد أمهات هجرت أولادها لتتزوج مرة أخرى، توجد أمهات كان ممكناً أن تصبر على زوجها لأجل أن تربي أولادها تربية أفضل، طبعاً نحن مقدرون أن هناك أزواجاً يتعبون النساء تعباً شديداً، لكن أولادك يستحقون الصبر، فقارنوا تصرف هاجر بتصرف أمهات هذا الزمن، طبعاً توجد أمهات بل أغلب الأمهات مثل هاجر، تخيلي لو ابنك في نفس موقف إسماعيل هل ستفعلين ما فعلته هاجر أم لا؟ وأنت تخيل لو ابنك حدث له هذا هل ستفعل ما فعلته هاجر أم لا؟ طبعاً ستفعل وستجري هذه المسافة وستكون مضطرباً و.. و..

انتبه، انت تقتل ولدك!

ابنك غالٍ عليك جداً أكيد، انتبه لمعنى مهم جداً، هاجر ابنها يموت أمامها، فأماتت هي نفسها ليحيا الولد، وأنت أيضاً هل ابنك يموت أمامك ستميت نفسك ليحيا هذا الولد،

---

(1) أخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 1/ 360)، وذكره **الزبيدي** في «إتحاف السادة المتقين» (4/ 411).

لكن انتبه أن ابنك سيحرق أمامك يوم القيامة لو ربيته خطأ، ستكون أنت الذي تضع ابنك بيديك في النار، هاجر كانت ستموت لكن ابنها كان سيعيش، نحن نجد آباء لا يربون أولادهم على الإسلام، فنقول لهم: إنك بهذا تلقيه في جهنم، يا إخوة، انتبهوا لهذا المعنى فهو معنى خطير جداً، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: 6]، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [الزمر: 15]، تخيلي أنك تمسكين ابنك ثم تقذفينه في نار جهنم، وهذا المثل نجده في أم تقول لها ابنتها: أنا صاحبت ولداً، فتقول لها الأم: إياك أن تقولي لأبيك، ليبقى الأمر سراً، للأسف هذا الأمر منتشر جداً الآن، أنا أجد فتيات وأولاد يتصلون بي: نحن مصاحبون أقول لهم: حرام، يقولون لي: الوالدة تعلم، فأقول لهم: وهل الأب يعلم؟ فيقولون لي: لا، أمي أخفت عليه الأمر، وهنا الأم صنعت مشكلتين، **أولاً**: ضيعت ابنتها، **ثانياً**: خانت زوجها بإخفائها عليه خبراً مثل هذا، فأحياناً تتعامل النساء مع الأمور ببساطة شديدة، وفي النهاية تجد ابنتها وقعت في مصيبة وتعرضت لكارثة، وتكون الأم هي السبب في ضياع ابنتها، لو أنك تحبين ابنتك أو ابنك مثل السيدة هاجر فربيه على طاعة الله، نجيه من النار وعذابها، وهذه مسؤولية كل أب وأم، وحتى الشباب اعلموا أنكم ستنجبون فاختر الزوجة التي لا تدخل ابنك النار، واختاري الزوج الذي لا يدخل ابنك النار، انتبه إلى أن كل شاب سيختار زوجة لا تعين ابنه ولا تعينه على أن يدخلوا الجنة، سيسأل عن هذا الاختيار يوم القيامة، وسيأتي أولاده متعلقون في رقبته؛ لأنك لم تختر الزوجة الصحيحة من البداية، وأنت أيتها الشابة لا تقولي: أنا أريد أن أتزوج فقط، هذا الكلام لا يصلح، عليك أن تختاري الزوج الذي يدخلك الجنة؛ لأننا نريد أن ندخل الجنة، وهذا أهم شيء في حياتنا، ثم يأتي بعده الزواج وليس العكس وهذه نقطة أردت أن أوضحها.

من المحنة تولد المنحة:

النقطة الثالثة هي: تدبير الله ﷻ، نجد أن بعد الأزمة يأتي الفرج، ويأتي من حيث لا تحتسب، تخرج المياه من المكان الذي لم تبحث فيه هاجر.

لماذا نقلد السيدة هاجر؟

هناك معنى آخر مهم جداً أحب أن أقوله، وهو: ماذا نتعلم من قصة هاجر يا إخوة؟ سؤال، لماذا نحن نقلد السيدة هاجر في العمرة والحج؟ هل هناك من فكّر في هذا الأمر؟

لماذا جعل الله تبارك وتعالى السعي ركناً من أركان العمرة والحج؟ لماذا نقلد السيدة هاجر؟ نقلدها لثلاثة أمور:

الأمر الأول: لأن السيدة هاجر لم تكن تعلم لماذا تفعل هذه الأشياء، ولماذا هي في هذا المكان؟ كانت لا تعلم بل كانت مستسلمة لله ﷻ، أنت أيضاً اعلم وأنت ذاهب أو آيب أن ذلك طاعة لله ﷻ، اسمع وتذكر قول هاجر لإبراهيم: إذن لن يضيعنا، أنا لا أعرف لماذا أسعى لكنني مستسلم لله ﷻ، ودليل استسلامك أننا عندما نأتي للمكان الذي نجري فيه، فالنساء يمشين والرجال يبحثون من الذي جرى في البداية؟ السيدة هاجر، إذن لماذا قلبنا الأمر؟ يا أخي اسمع الكلام وقل: سمعاً وطاعة يا رب لأن المطلوب في السعي أن تحس بالاستسلام لأمر الله، سأسعى وأنا طائع، هذا هو الأمر الأول.

أين عمقك الحضاري؟

الأمر الثاني: ما هو العمق الحضاري للمسلمين وماذا يعني؟ يعني: حضارتك لمن تعود؟ لهاجر، لإبراهيم، لإسماعيل، حضارتنا حضارة الأنبياء، يا إخوة، حضارتنا ليست حضارة الغرب، لا أنتمي للغرب، لا أريد أن أقلد الغرب في مأكلي ومشربي وملبسي، وأسمع الموسيقى والأغاني الأجنبية، من سنتين أو ثلاثة كان لاعبين التنس في الغرب يعقدون المنديل حول رأسهم، فكنت تمشي في الشوارع فترى الشباب المسلم عاقد المنديل، هذا دليل انتمائه للغرب، أنت تقلد فقط، وعندما انتهت هذه الموضة جاء بعدها موضة أخرى، وهي حلق الجنب من الرأس، المهم أن أقلد، المهم أن أكون مثلهم، أين عمقك الحضاري؟ أعرفت لماذا جعلنا الله نقلد السيدة هاجر؟ ليقول لكم: زمزم هي أصلكم، هاجر هي جدتك، إبراهيم جدك، صل وراء مقام إبراهيم لماذا؟ ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾؟ [البقرة: 125]، لتشعر بانتمائك لهذا الرجل لتحس أنك مرتبط بهذه الحضارة، هذه هي حضارتك وهذا هو عمقك الإسلامي، عمقك راجع لأجداد الأنبياء، ليت الشباب يدركون هذا المعنى لكانوا أراحوا أنفسهم، ونصروا الأمة نصراً عزيزاً، لو أنهم اقتنعوا أن بُعْدَهم بُعْدٌ إسلامي، لذا أنصح الشباب أن يذهبوا لأداء العمرة، ستشعر بتغيير، لكن اعملها بجد واهتمام، إن شاء الله يمن الله عليك بعمرة السنة القادمة وما ذلك على الله بعزيز.

حكمة السعي بين الصفا والمروة:

والأمر الثالث: في تقليدنا للسيدة هاجر في السعي بين الصفا والمروة، أنك منذ سبع ساعات تقريباً وأنت تقوم بالسعي بين الصفا والمروة، وبدأت تتعب وأنت حافي القدمين

ورجلاك بدأت تؤلمك وثيابك اتسخت، هل تعرف ما الذي يجب أن تشعر به في هذا الموقف؟ أتعلم الذي يتردد على باب الملك وليسأله هل سامحتني أم لا؟ ثم يرجع، ويدق مرة أخرى هل الملك عفا عني أم لا؟ ثم يرجع مرة ثالثة، و.. هذا المثل مثل الذي يدق على باب أبيه (ولله المثل الأعلى) وأبوه غضبان منه ولا يرضى أن يفتح له، فيقول: يا أبي سامحني، سامحني، لن أفعل هذا مرة أخرى، هل تفهمون ماذا أقول؟

نجد أن من يفهم هذا المعنى يبكي وهو يسعى وغيره لا يفهم، من فهم هذا المعنى أنه يتردد بذهابه للصفا سامحتني أم لا؟ ثم يرجع عند المروة يا رب، أنا بدأت أتعب اعف عني يا رب، ثم يرجع مرة أخرى يا رب رجلي تؤلمني لم أعد قادراً على الوقوف، ارحمني، سامحني، ثم تزيد من الاستغفار ثم ترجع للمروة، اعف يا رب، أنا متعب يا رب، سامحني، أرأيتم أن السعي جميل؟

زمزم لما شربت له!

تعالوا ننتقل من السعي إلى البئر، قلنا: زمزم يعني بئر حُفِرَ بضربة جناح ملك عند قدم نبي، لكن زمزم هذه لها بعض الأمور الجميلة جداً، **الأمر الأول**: أنها آية من آيات الله، تخيلوا أن زمزم تسقي الناس منذ كم سنة؟ يقال لك عجائب الدنيا السبع! أليس هذا البئر من العجائب؟ بئر عادي يسقي منذ آلاف السنين وتجد الكل يشرب، والذي يستحم والذي يفعل كذا وكذا والذي يملأ منه ويأخذ لبلده، وزجاجات تملأ، ما هذا البئر؟ هل ضربة جناح ملك أمر قليل، هل تتخيلون البركة التي في هذا المكان؟ كيف ينتهي؟ انظروا كيف نرتبط نحن بتاريخنا؟ وكيف ننتمي لحضارتنا؟

الأمر الثاني: نصيحة للناس التي تشرب من ماء زمزم، النبيّ ﷺ رأى عبد الرحمٰن بن عوف شرب شربة قليلة جداً فقال: «**يا عبد الرحمٰن، ما هكذا تشرب زمزم**»، فقلت: كيف يا رسول الله؟ فقال: «**تشرب حتى التضلّع**» ـ تشرب إلى أن تصل المياه للضلوع ثم قال النبيّ كلمة قوية ـ «**ولا يقي على الاضلاع من زمزم إلا مؤمن**»، جرب أنت، جرب واشرب ثلاثة أكواب من زمزم لا يمكن أن لا تستطيع، ولذلك نحن في العمرة نجد الشباب كله يظل يشرب ويضغط على نفسه أكثر وأكثر، أنا أريد أن أثبت أنني مؤمن. هناك كلمة جميلة جداً للنبيّ، يقول: «**زمزم لِمَا شُرِبَتْ له**»[1]، انوِ لكن إياك وأن تنوي دون الاقتناع، ما ستنويه سيحدث، أمور مؤكدة، لدرجة أن الإمام الترمذي، وهو أحد أئمة الحديث العظام، وأحد

(1) ذكره **العجلوني** في «كشف الخفا» (1/ 530).

الستة الكبار، يقول: كنت في الحرم في ليلة من ليالي الحج، والمكان مزدحم وأصابني إرادة البول ـ أريد أن أدخل الحمام ـ والمكان ضيق ولا أستطيع الخروج، وإذا خرجت فلن أعود وأذاني البول ـ والبول بدأ يؤذيني بمرض شديد ـ فقلت: والله ليس لها إلا زمزم! انظر ليقين الإمام الترمذي، هذا الأمر خطير يحتاج لإنسان عنده يقين جداً، يقول: فقلت: والله ليس لها إلا الأضلاع، يقول: فظللت أشرب بنية أن يذهب الله عني ما أجد، فوالله بقيت إلى صلاة الصبح وصلاة الظهر ولا أجد أي إيذاء في بطني، الأمر يحتاج إلى يقين وثقة، النبيّ قال: «**زمزم لِمَا شُرِبَتْ له**»، إذن انتهى الموضوع.

الصحابة وماء زمزم:

انظر إلى الصحابة كيف يشربونها! تجد سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ كلما يشرب يقول: اللهمّ إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كل داء، لم يشربها أبداً إلا وهو يقول هذا الدعاء، دعاء واحد طوال عمره: علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاء من كل داء، فيقول لك العلماء: ومات ابن عباس وهو أكثر الناس علماً وأكثرهم رزقاً ولم يصبه مرض حتى مات، هم أثبتوا أنه مات أوفر الصحابة مالاً ومات بلا أمراض، ومات وقد مُلِيءَ علماً ونشر العلم في الأرض، فيا سبحان الله، شيء يشجع اذهب واشرب وانوِ، سيدنا عمر بن الخطاب يُسأَل: لم تشرب من ماء زمزم يا عمر؟ فيقول: أشربها لحر يوم القيامة، تصدق أن سيدنا عمر خائف من حر يوم القيامة، ونحن غير مكترثين، ولم نفكر في هذا الأمر من الأساس، تخيل سيدنا عمر ﷺ كلما شرب من ماء زمزم يقول: أشربها لحر يوم القيامة، لعطش يوم القيامة، خائف من العطش يا أمير المؤمنين، ماذا نقول نحن إذن؟ أنت يا عمر سيقابلك النبي بسرعة ويسقيك من حوضه الشريف شربة لا تظمأ بعدها أبداً، أما نحن فسنقف في صف طويل إلى أن نصل للنبيّ حتى يسقينا؛ لأننا سنشرب من يد النبيّ على حسب أعمالنا وعلى حسب اتباعنا لسنته، عطشان وشاعر أنك ستعطش جداً سر على سنة النبيّ وأنت تشرب في بداية الصيف، فسيدنا عمر خائف من عطش يوم القيامة، اشربها لعطش يوم القيامة، الإمام الشافعي يقول لك كلمة جميلة جداً يقول: شربنا ماء زمزم لتعلم العلم فتعلمناه ولو شربناها للتقوى لكان خير تقى، لو كنت شربتها للتقوى كان أفضل لي، أنا شربتها للعلم فالله علمني، لكن لاحظوا أن ابن العربي له كلمة جميلة جداً، يقول: وهذا الفضل في زمزم موجود إلى يوم القيامة؛ لأن النبيّ ﷺ أطلق الكلام فقال: «**زمزم لِمَا شُرِبَتْ له**»، إلا أن كلام النبيّ ﷺ لا يتحقق إلا بشرط أن تصحح نيتك، وأن تدعو وأنت على يقين باستجابة الله لدعواك.

تعلم كيف تنفذ الأمر:

نعود لسيدنا إبراهيم عليه السلام في سورة «إبراهيم» ما الذي حدث له؟ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾، هذه الآيات تحكي لك ماذا حدث لإبراهيم، الذي حدث أن سيدنا إبراهيم أخذ الناقة وترك إسماعيل وهاجر ولم ينظر إليهما... تنفيذ حرفي لكلام الله، سمعاً وطاعة لله، نفذ كلام الله ثم وقف ـ وهذا ما ذكره البخاري ـ والتفت ونظر إلى مكان الكعبة مكان البيت الحرام، مكان إسماعيل وهاجر، أشعرتم بقلب الأب؟ هل أنت متخيل دقة التنفيذ لأوامر الله؟ لم يظل واقفاً أمامهم وإنما اختفى من أمام أعينهم، مثل شاب وفتاة عرفا أن الصداقة بينهما حرام واقتنعا وقالا: لن نتكلم مع بعض مرة أخرى، ثم تجد الشاب يتصل بها ويقول: يمكن أن أسأل عنها مرة كل خمسة عشر يوماً، مكالمة تليفون فقط أقول لها فيها: كيف حالك وأنهي المكالمة على الفور، يا أخي، عندما تنفذ نفذ كل الأمر وكن رجلاً ونفذ للنهاية، الشيطان يريد منك أن لا تغلق الباب تماماً، الشيطان يفعل هذا في معاصٍ كثيرة، يقول لك: تريد أن تقلع عن السجائر لكن لا داعي أن تلقي بالعلبة كلها اتركها في البيت، أو تستيقظ صباحاً وتقول: والله العظيم من اليوم لن أكلم أي فتاة لكني سأحتفظ بأرقام تليفوناتهم على المحمول، انتبه إلى أن لعبة الشيطان الشهيرة هي ترك الباب مفتوحاً، أعلمتم لماذا سيدنا إبراهيم أصرَّ أن لا يبقى أمام أعينهم، كان ممكناً أن يقف على تل من بعيد ويلوح لهم، أنا سمعت كلام الله لكن لن ألوح لكم من بعيد واختفى.

كن صادقاً مع الله ﷻ:

وقف إبراهيم ونظر للبيت وبدأ يدعو بهذا الدعاء: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: 126]، كل هذه الآيات في اللحظة التي أذكرها لكم بعدما التفت وتركهم ومشى، فنظر للبيت لمكان البيت وبدأ يقول هذه الآيات، فعش مع هذه الآيات وكأنك مشاهد حالته وكأنك تشاهده وهو يقول طائعاً لله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: 35].

ماذا كنتم تتخيلون أول دعوة له؟ ثم يقول: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ [إبراهيم: 73]، الآن بدأ يقول مشكلته.. بدأ بمشكلته أو بدأ بـ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾؟ تخيلوا ترتيب سيدنا إبراهيم عليه السلام رغم أنه متعب جداً، أنت متعب يا سيدنا إبراهيم، ادعو الله أن ينجي الولد أولاً، لا، ليس أهم شيء عند إبراهيم أن ينجي ولده، لكن أهم شيء عنده أن يكون أولاده طائعين لله، هل رأيت سيدنا إبراهيم قدّم ماذا على ماذا؟

الالتزام الديني يأتي في المقام الأول وليس الأكل والشرب وسائر الأشياء الدنيوية.

لا تدخل أولادك في مدرسة وأنت تعلم أنهم سيخرجون منها فاسدين، أهم شيء صلة أولادك بالله هذا في المقام الأول، لا تضع أولادك ضمن بيئة أنت تعلم أنهم سَيُفْسَدون فيها، سيدنا إبراهيم قال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾، العلماء يقولون: إن مقاصد الشريعة الإسلامية خمسة: الدين، والنفس، والعرض، والمال، والعقل، نجد أن أي آية في القرآن تحفظ واحدة من هؤلاء الخمسة، أتحداكم أن تجدوا آية في القرآن لا تخدم واحدة من هؤلاء الخمسة، تحريم الخمر فيها حفظ العقل، تحريم الزنا حفظ للعرض، تحريم القتل حفظ للنفس، تحريم الربا حفظ للمال، الدعوة إلى الله حفظ للدين، اقرأ أي آية ستجدها تحت واحدة من هؤلاء الخمسة، حفظ الدين في المقام الأول.

وأنا أسأل بصراحة: دينك أم مالك؟ دينك أكيد، دينك أم عرضك؟ دينك أم عقلك؟ دينك أم نفسك؟ يعني: تموت أم الدين يُحْفَظ؟ أعلمتم لماذا رتب سيدنا إبراهيم وابتدأ بقوله: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾، ثم قال بعدها داعياً الله: يا رب، احفظ أولادي.. هذا المعنى مهم جداً.

شروط الدعوة إلى الله:

تعالوا نرجع للآيات: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾، الآية تشعرك بحرقة سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ [إبراهيم: 36]، إنهم من؟ الأصنام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، يتألم سيدنا إبراهيم، مثل الألم الذي نحن فيه الآن على حال الإسلام والمسلمين: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾، حتى لو أنه ليس ابني: ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾، انظروا الرحمة: ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، هذه الآية ملخص لمن يريد أن يدعو إلى الله، تريد أن تدعو إلى الله لك شروط ثلاثة:

أولاً: غيرة شديدة على الإسلام:

الشرط الأول: غيرة شديدة على الإسلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، أنا لن أسكت، لا يا رب الأرض كلها لن تكون بعيدة عن طاعتك: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، هذا الشرط الأول: غيرة على الإسلام، لو أن هناك شاباً لا يغير على الإسلام، فهذا الشاب أول من يقع في المعصية، نحن نريد أناساً يحبون الإسلام، الإسلام بدمه، كان

شعار المسلمين في غزوة أحد شعار حلو جداً، «لحمك ودمك هو دينك»، إذن أول صفة للذي يريد أن يكون داعياً إلى الله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، أنا غيور يا رب على الأرض، يا إخوة، الأرض الآن ستة مليار ونصف، كم منهم طائع لله؟ وكم بعيد عن الله تبارك وتعالى؟ ثلاثة أرباع الأرض بعيدة عن الله والربع الباقي هم المسلمون والله أعلم بهم وأنتم تعلمون يعني: الأرض للأسف مشابهة لأيام سيدنا إبراهيم عليه السلام وأكثر، إذن ما هو الحل؟ الحل أن يكون لدينا غيرة على الدين.

ثانياً: حب المتدينين:

الشرط الثاني: قال تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾،أحب الملتزمين، أنا سأصاحب المتدينين، هم أصحابي وأحبابي، فإنهم مني، من؟ ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾.

الرحمة واللين:

الشرط الثالث: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الأمر الثالث: الرحمة للناس، تريد أن تدعو إلى الله لا بد من ثلاثة شروط: **أولاً**: غيرة على الإسلام، **ثانياً**: أحبابي وأصحابي والقريبين لقلبي الذين منهم يكون الزاد والطاقة، يجب أن يكونوا من الملتزمين، **ثالثاً**: لن أترك الناس سأكون رحيماً بهم، لن أعامل الناس بقسوة لو وجدتهم لا يصلون مثلاً: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، أتستطيعون أن تتحلوا بهذه الأمور الثلاثة؟ افعل هؤلاء الثلاثة وانظر ماذا سيُجْري الله على يديك، ستكون نتائج رائعة إن شاء الله.

قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: 37]، ما هذا؟ هل الكعبة كانت موجودة؟ أليس سيدنا إبراهيم الذي بنى الكعبة؟ هل بناها عندما كان إسماعيل رضيعاً أم كان كبيراً؟ تقول الآية: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة: 127]، إذن إسماعيل شارك في البناء، كيف إذن يقول سيدنا إبراهيم: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾، ولا يوجد بيت محرم؟ انتبهوا أن الآية تقول: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾.

ما معنى القواعد؟

يعني: قواعد البيت كانت موجودة، الأساس موجود لكن البناء كان قد تهدم بفعل السيول وهجران الأرض، لكن الكعبة نفسها من الذي بناها؟ آدم عليه السلام، يوجد خلاف، لكن الراجح أن الذي بناها آدم عليه السلام، وأن آدم بنى بعدها المسجد الأقصى، حتى لا يدَّعي أحد أن المسجد الأقصى يخص كذا أو كذا، المسجد الحرام والمسجد الأقصى ملك النبي الموجود

في وقتهم، أنا أقول هذا لتريحوا أنفسكم من قصة هل هذه الأرض خاصة باليهود في الأول أم ملك لنا؟ من الذي بنى الاثنين؟ سيدنا آدم عليه السلام هو الذي بنى الاثنين، شاءت إرادة الله أن كل نبي يأتي يكون هو المسؤول عن البيتين؛ لأن هناك صلة شديدة بين البيتين، يا إخوة، الأمة الخاتمة يجب أن يكون معها البيتان، فجاء مثلاً سيدنا داود مسؤول عن البيتين، ولذلك كل الأنبياء حجوا بيت الله، داود حج بيت الله وهو مسؤول عن المسجد الأقصى وليس له علاقة بالكعبة، داود يأتي ويكون هو المسؤول عن البيت، وإسماعيل، وإبراهيم أيضاً، وهكذا حتى وقت سيدنا محمد ﷺ هو المسؤول عن البيتين، من الخاتم؟ النبي ﷺ، أعلمتم لماذا في رحلة المعراج النبي صلى بالأنبياء إماماً في المسجد الأقصى؟ كأنه يقول: أنا استلمت منكم الراية، أنا المسؤول، عندنا حديث جميل جداً يقول: «**لا يؤم الرجل في بيته**»، يعني: لا يصح أن أزورك في بيتك وأكون إماماً عليك، في بيتك من الذي يصلي إماماً؟ أنت وأنا أصلي وراءك إلا إذا أذنت لي، يوم رحلة الإسراء من كان موجوداً في البيت؟ كل الأنبياء، من الذي سيصلي إماماً بهم؟ النبيّ ﷺ، إذن من صاحب البيت؟ وهل النبيّ أمَّهم من نفسه؟ لا، الذي قال له سيدنا جبريل عليه السلام، كل الأنبياء وقفوا صفاً، وقيل: إنه أعظم اجتماع في التاريخ..

ممن تتزوجون يا شباب؟

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾، ربنا ليقيموا الصلاة؟ ما هذا يا سيدنا إبراهيم؟ ما هو هدفك؟ ماذا تريد أن يصبح أبناؤك؟ أريدهم متدينين، هذا أهم شيء لا أريد منهم أي أمر آخر إلا أن يكونوا متدينين، اعملوا على هذا يا إخوة.

يا شباب، أرجوكم تزوجوا بناء على أساس الدين، إياك أن تجري وراء الفتاة الجميلة، والخفيفة الدم.

لا أقول لك تزوج واحدة لا تعجبك، لكن أقول لك: إن أول شيء يجب أن تبحث عنه هو الدين، نريد أن ندخل الجنة، ونريد أن نربي أولادنا وندخلهم الجنة: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، سيدنا إبراهيم عليه السلام تركهم في الصحراء وهو يقول: يا رب أنا لا أريد غير أن يقيموا الصلاة، هل سنربي أولادنا مثله؟ أنتِ إياك أن تقولي: أنا أريد أن أتزوج فقط؛ لأن سني أصبح سبعاً وعشرين سنة، أي إنسان لا يهم، لا تقولي هذا، هناك حد أدنى من التدين أنا سأقبل به وهو سيقبل بها لو هو أو هي تصلي، إياك أن تتزوجي ممن لا يصلي، ماذا سيكون مصير الأولاد؟ وكيف يرضى الله عن هذا البيت؟ وكيف يبارك فيه؟ يا إخوة، هذه

أبجديات حافظوا عليها: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، لاحظوا معي حرقة قلب سيدنا إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾، هل تشعر مدى ألم الأب؟ كله مستسلم ولم يقل أي كلمة خطأ، لماذا فعلت هذا يا رب؟

هذا هو الإسلام:

قال تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾، هنا طلب الدنيا لكن قدم: ﴿لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، وبعدها طلب الدنيا.

لا يوجد مانع من طلب الدنيا، لا نريد واحدة تقول: أنا تحجبت ولست حريصة أن تكون ثيابي مرتبة، بالعكس أريدك أن تلبسي أفضل الثياب، ونريد من شبابنا الحفاظ على مظهرهم، والحرص على الابتسامة وعلى نظافة سياراتهم.

يا أخوة نريد اسلاماً ليس معناه انني أجلس في المسجد وأفشل في حياتي، نريدك متفوقاً في أفضل كلية، نريدك في نفس الوقت أن تجيد لغة، نريدك مسلماً ناجحاً متكاملاً.

سيدنا إبراهيم دعا بالأمرين: ﴿لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، وارزقهم من الثمرات، لكن يقيموا الصلاة قالها أولاً وختمها بكلمة: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: 37]، حتى عندما تعطينا اجعلنا نشكرك عليها، أنت متخيل كيف كان الدين في قلب سيدنا إبراهيم؟ الدين يملأ حياته.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾ [إبراهيم: 38]، هذه الآية خطيرة، سيدنا إبراهيم عليه السلام متألم لكن هو لا يريد أن يقول لله: يا رب، أنا متعب، بل قال: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾، هل تستطيع أن تتأدب مع الله مثله؟ لاحظوا الأدب في هذه الآية الجميلة: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾﴾.

ماء زمزم طعام وسقاء!

سنتوقف مع سيدنا إبراهيم عليه السلام هنا ونعود إلى هاجر وإسماعيل في مكة، لنعرف ماذا حدث لهما بعد شربهما مياه زمزم، فأين الطعام؟ ونسأل مرة أخرى: وهل مياه زمزم تكفي وحدها؟ نعم تكفي وحدها، تخيلوا يا إخوة أن: **«زمزم لِمَا شُرِبَت له»**، حتى لو أنت جائع، أمر عجيب، مياه عجيبة، آية من آيات الله، فظلوا يشربون أياماً وأياماً وأياماً بدون طعام ولا يحتاجون للأكل، لماذا؛ لأن مياه زمزم لما شربت له، انظر كيف يدبر الله الكون!

ما هذا التدبير يا رب!

سيدنا إبراهيم عليه السلام دعا فقال: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾، انظر ماذا سيفعل الله؟ لأن عبداً دعاه، هناك قبائل في اليمن تعيش وتقيم بالقرب من سد نقرة، فجاء السيل فانهار السد، وبدأت القبائل تنزح بعيداً عن السد، ما هذا التدبير الإلٰهي؟ وتبدأ القبائل تتحرك في الجزيرة العربية بحثاً عن أماكن جديدة بها طعام، ومن ضمن القبائل قبيلة اسمها: جرهم، قبيلة جرهم بدأت تتحرك من جانب مكة، فيجدون الطير تحوم في السماء، فيعرفون أن هناك مياهاً قريبة منهم فيقتربون إلى أن يصلوا إلى هاجر، فيقولون لهاجر: هل تسمحي لنا أن نشرب من الماء؟ لاحظ الأدب والشهامة فتقول لهم: على أن تعطوني الأجر، تدفعوا لي مالاً، فيعطونها الأجر ويُرَبّى إسماعيل في وسط هذه القبيلة، والتي كانت تجيد اللغة العربية فيصبح إسماعيل فصيحاً ومتقناً لها؛ لأن محمداً ﷺ يجب أن يجيد اللغة العربية هو أيضاً، ويعيش إسماعيل في وسطهم ويتزوج منهم، وتهوي القبائل إلى مكة، وسبحان مدبر الأمر في السمٰوات والأرض.. لماذا انهرت يا سد مأرب؟ أمرني الله تبارك وتعالى بذلك! ولماذا أمرك؟ لتتحرك القبائل؛ لأن هناك من دعا في الصحراء: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾.

عار علينا أن يكون أحد منا غير مصدق استجابة الله لدعائه، بعدما عرفنا هذا الكلام وعرفنا أن سداً ينهار لتتحرك قبائل من اليمن لتصل إلى هاجر؛ بسبب دعاء إبراهيم، من العار بعد ذلك أن تظن أن الله لن يستجيب لدعائك، شروط إجابة الدعاء أربعة:

أولاً: اليقين في الإجابة:

قال النبيّ ﷺ: **«إذا دعا أحدكم فليعزم في المسألة»**[1]، لا يقل: يا رب لو شئت، إياك أن تقول هذا، بل قلْ: يا رب، عزمت عليك بكذا، أقسمت عليك بكذا، يا رب، أعطني كذا.

ثانياً: عدم الاستعجال:

الدعاء سيستجاب لا محالة، سيدنا إبراهيم عليه السلام ظل يدعو: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾، من مكة إلى أن وصل فلسطين، ادع ولا تمل، لأسبوع واثنين وشهر واثنين واستمر في الدعاء، أنا دعوت دعوة سنة 1989 تحققت سنة 2001، منذ عشر سنين

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 6338)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 6752)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 3/ 101).

كنت أدعوها، ورأيتها بعيني وهي تتحقق وقلت: سبحانك يا رب، يستجيب الدعاء ولو بعد حين، لا يرد دعاء لعباده أبداً، كن على ثقة بالله تبارك وتعالى.

ثالثاً: الخشوع أثناء الدعاء:

يقول عبد الله بن عمر: أنا أعلم متى يستجاب دعائي، فقيل له: كيف؟ قال: عندما يخشع القلب وتهتز الجوارح وتدمع العين أقول سيستجاب لي الآن، سوف أُكْثِرُ من الدعاء، الإمام أحمد بن حنبل يقول: أتعرفون متى يستجاب دعاؤكم؟ قالوا: متى يا إمام؟ قال: ما رأيكم في رجل في بحر هائج متلاطم الأمواج، وقد سقط من السفينة ولم يجد إلا خشبة يتعلق بها، سيموت، فظل يصرخ في البحر ويقول: يا رب، يا رب، يقول الإمام أحمد بن حنبل: ومن يدعو كذلك فلا بد أن يستجاب دعاؤه.. تريد أن يستجاب لك تذكر منظر هذا الرجل الذي يدعو في البحر، ادع مثله وسيستجاب لك بإذن الله.

رابعاً: أكل الحلال:

ذكر النبيّ ﷺ عن رجل مسكين خاشع يرفع يديه إلى السماء، موقن يقول: يا رب يا رب، يلح بلا عجل ما المشكلة إذن؟ هو يحقق الثلاثة، لكن مطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنّى يستجاب له؟ ولذلك إن كنت تريد أن يستجاب دعاؤك، تصدق صدقة، لماذا؟ لتطهر المال، ولذلك من مميزات الزكاة تطهير المال فهو سبب أيضاً لاستجابة الدعاء.

ادع ودعاؤك مستجاب:

الشباب والفتيات أسهل أناس استجابة للدعاء، لماذا؟ لأنهم يأخذون مصروفهم ومالهم حلال، بصرف النظر من أين أتى أهلهم بهذا المال، دعاؤكم أقرب يا شباب من دعاء الكبار، الكبار عندهم مشاكل، الله أعلم ما شكل مالنا؟ ربنا يسترنا، لكن أنتم دعاؤكم أقرب للإجابة، أما الأطفال فدعاؤهم أقرب وأقرب وأقرب، ولذلك أبو هريرة كان يحضر الأطفال الصغار عشر سنين واثني عشرة سنة ويحفظهم القرآن، وبعدما ينتهي يقول لهم: ارفعوا أيديكم وقولوا: اللهم اغفر لأبي هريرة، والله كانوا أناساً يعلمون ماذا يريدون.

ذبح إسماعيل عليه السلام

ما زلنا مع قصة سيدنا إبراهيم وكفاحه الطويل، الحقيقة وأنا أذكر هذه القصة شعرت بالتعب والمعاناة فما بالكم بصاحب القصة الذي عاش يجاهد في هذه الحياة الطويلة؟ وما

بالك بسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد فعل كل ما فعل وكل هذا الكلام الذي ذكرناه؟

الاختبار الثاني لسيدنا إبراهيم ﷺ كان يوم طلب الله منه أن يذبح ابنه، لماذا؟ هو أيضاً أمرٌ مجهول، وكانت الحكمة غائبة عن سيدنا إبراهيم، ويتوكل على الله، ويطيع أوامره دون أن يسأل.

يا إخوتي الوكيل لا يُسأل أبداً. قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۝١٠١﴾ [الصافات: 99 ـ 101]، بعد خمسة وسبعون عاماً يرزق بمولود، وليس أي مولود؛ بل مولود حليم. ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: 102]، لن يرميه من على الجبل، ولن يبعثه في معركة حربية يقاتل حتى يموت؛ لا بل سيذبحه بيديه... الله ما أصعب هذا الاختبار. ولكن ماذا تعتقد سيكون ردّ الولد؟! ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، ما هذه العائلة؟ أترى معنى التوكل الحقيقي في هذا النموذج؟

ويأتي دور إبليس اللعين، فيوسوس لإسماعيل بأن يرفض هذا الأمر، لماذا؟ لأنه يعلم أن هذا الأمر سيصبح عبرة إلى يوم الدين، فيأخذ إسماعيل سبع حصيات من الأرض ويرميه بها، وهذا كان مكان الرجم الذي نرمي فيه الجمرات عندما نؤدي فريضة الحج.

فيحاول مع السيّدة هاجر ما حاوله مع إسماعيل، فيدخل لها عن طريق العاطفة ويحاول إقناعها بالهرب وابنها، فتأخذ سبع حصيات من الأرض وترجمه بها.

ثم يحاول مع سيدنا إبراهيم ويقول له: هذه آخر فرصة لك أن يكون لك ولد... لا تفعل ذلك، فيأخذ سيدنا إبراهيم سبع حصيات ويرميه بها، وهي الرمية الكبرى.

ويأتي سيدنا إبراهيم بإسماعيل ويضعه على المنحر، وتتوارى السيدة هاجر حتى لا ترى ما ترى.

ويطلب إسماعيل ﷺ أن يضعه سيدنا إبراهيم على جبينه؛ لأنه لا يتحمل أن ينظر إلى أبيه وهو يذبحه، يريد في المقابل أن يهون على أبيه، فيفعل.

ويحمل السكين، ويبدأ إبراهيم ﷺ بالذبح، فلا تذبح السكين، فيسنها ويعاود من جديد، فلا تذبح، فيسنها ويعاود من جديد فلا تذبح. آه، إنه الوكيل الذي قال للنار: كوني برداً وسلاماً، الوكيل ذاته يقول الآن للسكين: لا تذبحي، توكّلوا على الله، توكلوا عليه في الأمور الصغيرة والكبيرة.

واعلموا أن آية الذبح في القرآن لم تكن آية تعسفية، بل كانت آية أراد الله من ورائها تعليمنا معنى التوكل. ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ [الصافات: 103]، أوَ لم يكونا مسلمين من قبل؟ كانا ولكن هذا هو الإسلام الذي يريده الله منا ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: 107]؛ لأنه نجح في الاختبار إلى آخره. وانظر ماذا يعطي الوكيل بعد نجاحك في الاختبار ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصافات: 109 ـ 112].

ما أجمل البشرى بعد التضحية يا إخوتي.

وماذا لإبراهيم أيضاً؟

يشرِّفه الله وولده (إسماعيل) عليهما السلام ببناء الكعبة، وكل الناس ستحج إليها بناءً على كلامه ﷻ. ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: 27]، فيقول: يا رب، ومن يسمعني وأنا في الصحراء، فيقول الله تبارك وتعالى: «عليك الأذان، وعلينا البلاغ»، فيؤذن في الصحراء: أيها الناس حجوا لله. فنأتي نحن بعد آلاف السنين ونقول: لبيك اللهمّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك.

ما ينبغي ذكره، أن النبيّ ﷺ، حين عرج إلى السمٰوات، وجد إبراهيم عليه السلام يسند ظهره إلى البيت المعمور في السماء السابعة، والبيت المعمور هو فوق الكعبة مباشرة، فسلم عليه النبيّ ﷺ، فقال إبراهيم عليه السلام: أقرىء أمتك مني السلام، وقل لهم: إن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وإن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر.

أجل، وصلتنا رسالتك يا جدنا إبراهيم، سنفعل، سنطيع، سنتوكل. وتذكر أن النبيّ ﷺ سمَّى ابنه على اسمه، وناداه مرة امرؤ فقال: يا خير البرية، فرد ﷺ: «**لا، بل خير البرية أبي إبراهيم عليه السلام**»، صلى الله على محمد وصلى الله على إبراهيم.

استسلام هاجر:

رأينا سابقاً استسلام سيدنا إبراهيم لله تبارك وتعالى وكيف أنه نفذ أمر الذبح بلا خوف ولا تردد، هو وابنه إسماعيل وهاجر، وصبر هاجر في مسألة الذبح أشد من صبر إبراهيم وإسماعيل؛ لأنها الأم. ويوجد شيء آخر عجيب، أنتم لو انتبهتم في هذه القصة أين كانت هاجر؟ يعني: وقت الذبح أين كانت السيدة هاجر؟ يا ترى هل كانت واقفة أم أنها اختبأت؟ يا ترى هل كانت قريبة أم كانت بعيدة؟ لا نعرف، إنما المؤكد أنها كانت مستسلمة لله تبارك وتعالى، استسلام المرأة في مثل هذا الموقف ثوابه أعظم وأَجَلّ وأكبر من استسلام الرجل.

طريق الأنبياء:

سيدنا إبراهيم عليه السلام ترك بعد ذلك مكة وعاد إلى فلسطين، أليس هذا هو طريق النبيّ ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج؟ من مكة إلى القدس، ذهاباً وإياباً، هذا هو طريق الأنبياء، هذا طريق النبيّ ﷺ وطريق جده إبراهيم عليه السلام: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: 67]، يا ترى هل هذا الطريق غالٍ عندنا نحن أيضاً؟

يُفْرِح عبده في الدنيا قبل الآخرة:

السيدة سارة زوجة سيدنا إبراهيم الأولى في فلسطين، وكان أغلب وقت سيدنا إبراهيم مع سارة، ويذهب إلى مكة كلما أراد أن يزور زوجته السيدة هاجر وابنه سيدنا إسماعيل، السيدة سارة عمرها الآن بعد قصة الذبح حوالي ثمانين سنة من غير أن تنجب، ثمانون سنة وهي عقيم. حين فقدت الأمل على سن الستين فقالت لسيدنا إبراهيم: تزوج غيري، وهذا أمر انتهى والذي بقي من العمر أقل بكثير جداً من الذي مضى، ولكن لرب العزة أمور وتدابير سبحانه وتعالى جل في علاه.

إن الله يحب أن يُفْرِحَ عبده في الدنيا قبل الآخرة، والله يا إخوة هذه النقطة جميلة جداً، لم يرد الله موت سارة من قبل أن تنجب، حين يكون هناك عبد موصول بالله جداً وقد حرمه الله شيئاً وحجبه عنه سنين طويلة، سينال هذا الشيء في الجنة، لكن بإخلاصه سيفرحه ويعطيه له في الدنيا قبل الآخرة، يا سارة، يا صاحبة الثمانين سنة، يا من أصبحت عجوزاً سنرزقك بإسحاق، انظر ماذا تقول الآية في سورة «هود»: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴿٧١﴾﴾، لماذا ضحكت؟ فرحاً أن الله تبارك وتعالى سيهلك الظالمين.

من علامات الإيمان:

هل يجوز للمسلم أن يفرح من أن انتقام العزيز الجبار من الظالمين الذين ظلموا وتجبروا وعملوا الفواحش؟ نعم، ونحن عندنا آية في القرآن في سورة «التوبة» تقول: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 14]، هنا فرحة السيدة سارة بنزول عقاب لقوم لوط الظالمين، أنزل الله عليهم عقابه، فمن فرحتها ضحكت.

فالقدس أو غيرها حين يحدث لها شيء فإذا لم يؤلمك قلبك، ولم تدمع عينك، فاعلم أن إسلامك وإيمانك ناقص، وعندك مشكلة كبيرة.

الشابة والشاب كل منهم يصلي ويصوم، لكن حب الخير للمؤمنين أمر لا يعنيهم، هذا عنده خلل، انظر عبد الله بن عمر كان يفهم ذلك جيداً فكان يقول:

واللّه لو قمت الليل ما أنام، وصمت النهار ما أفطر، وأنفقت مالي كله في سبيل اللّه، ثم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة اللّه، وبغض لأهل معصية اللّه ما نفعني ذلك في شيء.

ما نفعتك الصلاة والصيام في شيء، يا إخوة أوثق عرى الإيمان أن تحب المؤمنين وتكره الفاسقين والعصاة، ولذلك إن كنت لا تقدر أن تترك أصحابك الضائعين، تقول: أنا أجلس معهم لكن لا أقلدهم، طالما قلبك لم يشعر أنه كاره لهذه الجلسة وكاره لهذا الوضع، إذن ما زال إيمانك ضعيفاً، تستطيع أن تعلم متى يرتفع إيمانك، يوم تشعر أنك لا تطيق الجلوس في المكان الذي فيه معاصي.

وجاءت البشرى:

أيها الأحبة، سارة لم يكن لها علاقة بقوم لوط، هي كانت تسكن في بلدٍ آخر ولم يؤذوها، لكنها تحب الإسلام، تحب الطاعة، تكره المعصية، هل من أحد مثلها؟

عبد الله بن عباس ﷺ يقول كلمة جميلة جداً: «والله إني أسمع بالسحابة تمطر في اليمن فأسجد شكراً لله»، انظروا حب الخير للمؤمنين، ليست الحياة مجرد أكل وشرب، إنما القضية أمر أكبر بكثير ألا وهو الإسلام. قال تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا﴾، البشرى جاءت عندما قامت بشيء عظيم جداً وهو أنها كرهت الفاسقين وأحبت المؤمنين، من هنا جاءت البشرى.

قانون الحب الإلهي:

انظروا الرابطة: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾.

ما معنى ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ﴾؟ ـ اللغة العربية جميلة جداً ـ من هو إسحاق؟ هو أخو سيدنا إسماعيل، يعني: سيدنا إبراهيم أنجب إسماعيل وإسحاق، إذن من يعقوب؟ هو ابن سيدنا إسحاق ويعقوب من ابنه؟ ابنه سيدنا يوسف، تخيل أربع أجيال أنبياء، لكن الذي يهمنا من هذه النقطة: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾، معنى ومن وراء: أي أنك ستعيشين إلى أن ترين حفيدك، بالرغم من كبر سنك لكنك سترين ابنك وابن ابنك، هل

أدركتم مدى حب الله لعباده؟ هناك من يقول لك: الدنيا مغلقة في وجهي! سارة أمامنا أغلقت الدنيا معها ثمانين سنة.

يا أخوة، المشكلة أنك تقيس رضا الله وغضبه عليك بمقياس الدنيا وهذا خطأ

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾ [الفجر: 15]، والعكس، وأما إذا ابتلاه فأفقره، وضيق عليه رزقه فيقول: لماذا تفعل هذا يا رب معي؟ انظر للتعقيب الرباني على النوعين، ليس النوع الأول صحيحاً ولا الثاني أيضاً صحيحاً، ليس دليلاً على حبي لكم تيسير الدنيا معكم، كلا، وليس دليلاً أنني أكرهكم عندما ضيقت عليكم الدنيا، فجاء الرد على النوعين: ﴿كَلَّا﴾، إنما القضية اعملوا لله: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾﴾ [الفجر: 17 ـ 19]، «كلا» جاءت تعقيباً على النوعين: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾ [الفجر: 21]، يوجد يوم قيامة، ولذلك لو فتاة تأخر زواجها أو سيدة ضاقت من العيش مع زوجها، والله لو كنت طائعة لن يتركك الله وسيسعدك في الدنيا قبل الآخرة، يجب أن ينزل عليك سعادة في الدنيا قبل الآخرة، يا إخوة، اصبروا واذكروا الله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10]، ستدخل من غير حساب؟ اصبر، ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ [هود: 71، 72]، هي غير مصدقة: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾، انظر لرد الملائكة: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: 73]، انظروا لحب الله لأهل البيت! تخيل عندما تقال هذه الكلمة على بيت من بيوتنا تصبح رحمة الله وبركاته على هذا البيت، يا ترى هل يوجد بيوت الآن رحمة الله وبركاته عليها إنه حميد مجيد.

هناك آية تتكلم عن السيدة سارة وتحكي لنا لحظة معرفتها بالخبر، الآية تقول: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾ [الذاريات: 29]، هل تعلمون ما معنى صرة؟ هي الشهقة أو الصيحة التي تصدر من الإنسان عند سماع خبر لا يصدقه: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾، «صكت وجهها»: يعني: ضربت على وجهها، من كثرة استغرابها ثم قالت: ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ [الذاريات: 29، 30]، جميل جداً مولد سيدنا إسحاق.

غيّر عتبة بابك:

لكن تعالوا نرجع لمكة، حيث موجود فيها إسماعيل وهاجر، فقد حدث حادث،

سبحان الله بعد جهاد المرأة العظيمة أمنا أم المصريين السيدة هاجر ماتت عليها السلام، ماتت وتركت إسماعيل وقد شب وتزوج وصار يجيد اللغة العربية ويعيش في مكة، وأبوه يزوره من وقت لآخر، إلى أن تأتي هذه القصة التي يرويها البخاري: أن إبراهيم ذهب يوماً لزيارة إسماعيل في مكة فلم يكن موجوداً ـ أنا أحكي هذه الرواية بالمعنى ـ فسأل عن بيته فوصل إليه فوجد زوجة ابنه وهي لا تعرف إبراهيم، لأنها حديثة الزواج بابنه إسماعيل، فسألها: كيف عيشتكم؟ فقالت: في شر عيشة، وأسوأ عيشة، نحن في ضيق، نحن في شدة، نحن في تعب، فقال: إذا عاد زوجك فأبلغيه السلام وقولي له: جاءك شيخ يقول لك: غيِّر عتبة بيتك، فجاء سيدنا إسماعيل فقالت له: جاء لنا شيخ أوصافه كذا وكذا يقول لك: غير عتبة بابك فقال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أطلقك، فردها إلى أهلها وتزوج امرأة أخرى، ثم تأتي زيارة أخرى من سيدنا إبراهيم فلم يجده فوجد امرأته فسلم عليها وقال: كيف عيشتك؟ قالت: في خير حال، نحمد الله تبارك وتعالى وظلت تثني على الله فقال: فما طعامكم؟ فقالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء، قال: اللهمّ بارك لهم في اللحم والماء، ثم قال لها: إذا عاد زوجك فقولي له: جاءك شيخ يسلم عليك ويقول لك: ثبت عتبة بابك، المعنى واضح، حديث جميل.

آسف يا أمي لن أطلقها:

توجد نقطة جميلة ونقطة عليها علامة استفهام، أنا أعرف علامة الاستفهام التي في رأس النساء الآن، هو طلق امرأته لأن أباه قال له: غيِّر عتبة بابك، يوجد آباء وأمهات ظالمون يقولون لأبنائهم: طلق فلانة ويكون الطلاق بلا سبب؛ فقط لأنهم يريدون هذا، ماذا نفعل مع هؤلاء الآباء والأمهات؟

انتبهوا يا إخوة لو كان الأب صالحاً والأم صالحة ويقولون كلاماً عدلاً والناس أجمعت أن هذه السيدة غير صالحة فالأصل أن تطيعهم؛ لأن هذا فيه مصلحتك، لكن ماذا لو أن هذه المرأة صالحة وتصون بيتها وطائعة لزوجها وتربي أولادها وقالت الأم أو الأب: طلقها، هنا من الظلم أن تطلقها، ويطرح علينا سؤال: أين بر الوالدين؟ البر هنا أصبح ظلماً «والظلم ظلمات يوم القيامة»، فستسأل عن هذا الظلم يوم القيامة، ***انتبهوا لأنه يوجد رجال كثيرون يظلمون نساءهم ظلماً شديداً تحت اسم بر الوالدين***، فزوجتي عليها أن تتحمل؛ لأن الله أمرني ببر الوالدين، لا، أنت لا تفهم الأمر بطريقة صحيحة، بل هو ظلم وستحاسب عليه أنت ووالديك، فأنت بهذا تعرض نفسك وأبويك لسؤال شديد يوم القيامة وأنت أيضاً ظالم، ستقول: ستدعو أمي علي، لن يصل هذا الدعاء ولن يقبل،

يقول النبيّ ﷺ: «**يستجاب لأحدكم ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم**»[1]، أمك تريد أن تفسد البيت، الدعوة هنا لن تستجاب، وأنت عليك أن تسلم على أمك وتقول لها كلاماً جميلاً، آسف يا أمي لن أطلقها، لن أظلمها، لن أعاملها معاملة سيئة، أمك تظلم زوجتك أمامك، قل لها بهدوء: يا أمي من فضلك، أنا لا أؤلب الأبناء على الأمهات أنا أقول لو الأم ظالمة، لو الأب ظالم فالأصل في الرجل ألا يقبل الظلم بحجة بر الوالدين؛ لأنك بذلك ستصلح الاعوجاج باعوجاج أكبر، وستقف بين يدي الله ظالماً، ليس معنى أنها إذا كانت زوجتك فلك مطلق الحرية أن تظلمها ولن تحاسب على هذا الظلم لها، لا، بل الظلم هنا أشد، النبيّ ﷺ يقول: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»[2]، هذه النقطة يجب أن تكون واضحة في أذهان الرجال.

قضية خطيرة:

سيدنا إسماعيل عليه السلام سمع كلام أبيه ونفذه فوراً فما بالكم بالذي يتزوج رغماً عن أبيه وأمه، أين بر الوالدين؟ هذا عقوق شديد، ويكون غضب الله تبارك وتعالى شديداً، فما بالكم بمن يتزوج عرفياً؟ الشباب وبنات الجامعة الذين يتزوجون عرفياً هذا زنا ومعصية شديدة لله تبارك وتعالى، وفي النهاية الشاب يترك الفتاة، وطبعاً الموضوع انتهى، إياكِ أن تصدقي قضية الزواج العرفي، أنتِ التي ستضيعين، وسيحدث لكِ مصيبة أخرى تخيلي لو أبوك أو أمك ماتا من جراء سماعهما لهذا الخبر، تخيلي كيف سيكون غضب الله عليك؟ أو تخيلوا حرقة قلب الأم أو الأب، وتخيلوا الشاب الذي سيقبل أن يتزوج عرفياً ويضيع هذه الفتاة، ماذا سيفعل معه الله؟ وماذا سيفعل في أخته أو في أهله؟ القضية خطيرة.

الرضا لمن رضي:

آخر نقطة نتعلمها من هذه القضية: ما هي نوعية السيدة التي تعمر البيت ونوعية السيدة التي تخرب البيت؟ المرأة التي دائماً تكون مستبشرة، تقول: نحن في نعمة، نحن في خير، هذا فضل الله علينا، يا نساء تعلمن هذا الأمر، انتبهوا أن سيدنا إبراهيم نبي فعندما يقول لابنه: ثبت عتبة بابك أو غيِّر عتبة بابك، فهو لا ينطق عن الهوى، بل هو إلهام من الله لسيدنا إبراهيم أن هذا البيت لن يعيش، وأن هذه المرأة لا تصلح، يا نساء، ربين بناتكن

(1) أخرجه **أبو داود** في (الحديث: 1484)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3387)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 3853).

(2) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3895).

على القناعة، على الرضا، الرضا لمن رضي، ارضَ يرضيك الله.

أتمهن، لتكن إماماً!

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: 124]، ونبدأ قصة بناء الكعبة بيت الله الحرام، أول مسجد وضع في الأرض، ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾، ما معنى ابتلى إبراهيم ربه بكلمات؟

يعني: ابتلي إبراهيم بمواقف، تعرض إبراهيم لمواقف صعبة وما كان من سيدنا إبراهيم إلا أنه أتمهن، ما هي هذه المواقف؟ الرمي في النار، هل أتمها أم لا؟ ظل إبراهيم يقول: «حسبي الله ونعم الوكيل» اترك زوجتك وابنك في الصحراء هل أتمها أم لا؟ أتمها، واذبح ابنك هل أتمها أم لا؟ أتمها، في الصبر قال له الله تبارك وتعالى: واجه الملك الظالم النمرود هل أتمها أم لا؟ أتمها، وفي الصبر على عدم الإنجاب هل أتمها أم لا؟ أتمها، أتمَّ كل هذه الأشياء.

وكبر سيدنا إبراهيم عليه السلام وأصبح سنه فوق المائة سنة، الآية تقول: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾، وانظروا كلمة: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾، يا ترى أنت أتممت شيئاً لله في رمضان الذي مضى؟ نتمنى أن نتم شيئاً لله، من يذهب لعمل عمرة ويقول: سأتمها، من يصلي ركعتين ويقول: سأتمهما، يا إخوة، أتموا عملكم، اعمل شيئاً كاملاً: ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، لما أتمهن جعله الله إماماً انتبهوا.

أتمم أمرين أو ثلاثة في حياتك يجعلك الله إماماً لأصحابك لتأخذ بأيديهم إلى الله، وتقود الناس إليه.

أتمم أي أمر في حياتك لله، يجعلك الله إماماً في جامعتك، تجد أن أصحابك كلهم يلتفون حولك لأنك إمام، بعد أن كنت في جامعتك نكرة لا قيمة لك تجد الناس كلها تحبك، والناس كلها تقول لك أليس معك شريط قرآن نسمعه؟

وسيصبحون أئمة:

قال تعالى: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، طبعاً فرح سيدنا إبراهيم عليه السلام، والدليل على ذلك أنه قال: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾، أريد ذريتي أيضاً يا رب، هناك بعض الناس تقول لك: لا أنا لا أريد أن يراني الناس دعني بمفردي في الخفاء، أعبد الله بمفردي، يا إخـــــــوة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا

لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: 74]، يعني: يدعون أن يصبحوا أئمة وهذا ليس للشهرة وليس قلة إخلاص، وليس رياء، أنا أقول هذا الكلام رداً على من يقول: أنا أريد أن أكون مخلصاً، لن أعلم أحداً قرآناً. هذا شرف لك أن تعلم الناس القرآن، شيء يستحق أن ندعو به، ألا تحب أن تكون إماماً تدل الناس على الله؟ تعمل عند الله، ما عملك؟ دل الناس على الله، أنا الذي يأخذ الناس لله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، لو أنهم ملتزمون سيصبحون أئمة، لا يوجد عندنا أنساب، أن يقال: أنا نسبي يرجع لنسب سيدنا خالد بن الوليد ﷺ، لا ليس عندنا هذا، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: 125]، ما معنى مثابة؟ أي: يثوب إليه المؤمنون، يثوبون أي: كلما تبعد عنه تشتاق له أكثر، فتعود وترجع إليه مرة أخرى.

ومن كفر:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: 125، 126]، آية جميلة جداً، لمن طلب سيدنا إبراهيم الرزق؟ والجواب: لمن آمن، يا رب، لا تُطعم من هذا البلد ولا ترزق فيه إلا المؤمنين، لماذا دعا سيدنا إبراهيم هذا الدعاء؟ قال: ومن ذريتي، فقال الله له: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، فسيدنا إبراهيم يريد أن يطبق نفس القاعدة على الرزق فرد الله عليه وقال له: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [البقرة: 126]، وصلت الفكرة أم لا؟ يعني: سيدنا إبراهيم عليه السلام كان يريد الرزق للمؤمنين فقط، فقال الله: ﴿ وَمَن كَفَرَ﴾، ألا يكون له رزق؟ الكل يأكل من رزق الله: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

الحقيقة أن الله كريم معنا في الرزق، حتى الكافر يرزقه الله.

والله لن أضيفك:

توجد قصة لطيفة لسيدنا إبراهيم، جاء رجل كافر وسيدنا إبراهيم عليه السلام لم يكن يعلم أنه كافر، وسيدنا إبراهيم كريم جداً فقال: اجلس لأضيفك، فجلس الرجل وأشعل سيدنا إبراهيم النار ثم ذهب ليحضر الطعام، فلما رجع وجد الرجل جالساً أمام النار وساجداً لها، فغضب إبراهيم، وقال: قم فوالله لا أضيفك أبداً ولا تأكل من طعامي، فقام الرجل فنزل جبريل عليه السلام: يا إبراهيم يقول لك الله تبارك وتعالى: أتعبت منه ساعة وربه يحتمله ستين

عاماً، فقام إبراهيم يجري يقول له: عد فقد عاتبني ربي بسببك فقال الرجل: كيف؟ قال: عاتبني أني لم أتحملك ساعة وهو يتحملك ويرزقك ستين عاماً، فقال الرجل: إن إلٰهاً فعل ذلك ليستحق أن يُعْبَد، أشهد أن لا إله إلا الله.

رزق لا ينفد:

يا إخوة، الله تبارك وتعالى يرزق الجميع، كم أنفق الله على الأرض منذ أن خلقها؟ متخيل كم من الأمطار وكم من الثمار وكم من الحيوانات وكم من الرياح اللطيفة؟ نعَم كثيرة أنفقتها يا رب علينا.. وأنت، أنت بمفردك كم أنفق الله عليك منذ أن خلقك؟ ولذلك من أسماء الله تعالى الحسنى اسم الله الرزاق، انظر للحديث القدسي: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد منهم مسألته** ـ تخيلوا لو البشرية كلها وقفت في صحراء واسعة تدعو الله هناك من يريد قصراً ومن يريد مالاً ومن يريد أن يتزوج ـ **فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط** ـ الإبرة ـ **إذا أدخل البحر**»[1].

خزائن الله لو أعطى منها كل الناس ما نقصت، هذا المعنى جميل جداً، الله يرزق المسلم والكافر، قال: ومن كفر، لكن انظر: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾، البعض يقول: لماذا يترك الله الكفار والمشركين والعصاة يأكلون ويشربون ويتمتعون ونحن المسلمين مضيق علينا؟ قال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

بناء الكعبة:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: 127]، يرفع القواعد، إذن القواعد هذه كانت موجودة، فهذا البيت الذي بناه آدم على أغلب الأقوال، وسيدنا إبراهيم عليه السلام بدأ برفع القواعد بعد أن أرشده الله على المكان الذي كان فيه البيت، ماذا حدث للكعبة التي بناها سيدنا آدم؟ آدم عليه السلام بنى الكعبة، ثم جاء طوفان سيدنا نوح فأزال مكان الكعبة لكن بقيت القواعد، فجاء إبراهيم عليه السلام فكان له شرف أن يرفع القواعد من الأرض، والدليل أن آدم هو الذي بنى الكعبة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ [الأعراف: 96]، فهل يعقل أن أول بيت وضع في عهد سيدنا إبراهيم، والبشرية من لدن آدم إلى إبراهيم بلا بيت لله؟ فالراجح أن

(1) ذكره الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» 5/ 60).

أول من وضع البيت هو سيدنا آدم والآية تقول: ﴿بِبَكَّةَ﴾، وليس مكة، وسميت: بكة من كثرة البكاء ومن خشية الله فيها، فسميت بكة من كثرة البكائين، ولذلك لو ذهبت إلى مكة أو بكة ولم تبك لله إذن أين ستبكي؟ فلا بد من نزول دموع الخشية.

وصف البناء:

الكعبة حين بناها سيدنا إبراهيم عليه السلام كان طولها سبعة أذرع، والعرض اثنان وعشرون ذراعاً وكانت بدون سقف، سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما بناها، بناها من غير سقف، وهم يبنون كان نظرهم إلى السماء يرددون: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127].

يا إخوة، المسلم يطيع الله وهدفه الوحيد أن يتقبل الله منه، سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول لك: «كنا نعمل الأعمال العظيمة، من جهاد وغيره، ثم نعود ونحن مهمومون، أتقبل منا الله أم لا».

من صاحب القلب الوجل؟

اخشعوا لله يا إخواني واجعلوا قضيتكم أن يغفر الله لكم، يا إخوة، عندما نزل قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: 60]، السيدة عائشة لما سمعت هذه الآية ظنت أن هؤلاء الذين يسرقون ويزنون ويشربون الخمر ويخافون، فذهبت للنبيّ ﷺ وقالت له: يؤتون ما آتوا، آتوا هذه معناها الذي يشرب الخمر ويفعل المعاصي، قال: **«لا يا بنت الصديق يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة الذي يصلون ويقومون ويتصدقون، ثم قلوبهم وَجِلَة أقَبِل الله منهم أم لا»**.

جميل جداً أن تعيش في الدنيا هذه وربنا راض عنك، يا ترى أين أنا من رضا الله؟

ذات مرة دخل النبيّ ﷺ المسجد النبوي فوجد الصحابة جالسين في الروضة، فوقف النبيّ أمام الروضة، وقال: **«أين أبو بكر؟»** يا أبا بكر، أوقفه بجواره، **«أين عمر؟»** تعال يا عمر، وأوقفه الناحية الأخرى وأمسك أيديهما ورفعها في السماء وقال: **«هكذا نبعث يوم القيامة»**[1]، وهذا هو عمر الذي يأتي بعد وفاة النبيّ ﷺ بحذيفة بن اليمان ويقول له: أقسمت عليك يا حذيفة أأنا من المنافقين؟ لأن النبيّ ﷺ أخبر حذيفة أسماء المنافقين.

لا نريد أن نعيش في الدنيا بلا هدف، وهدفنا الأعظم أن يرضى الله عنّا.

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 3669)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 99).

الاستسلام التام:

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾، [البقرة: 128]، نحن نقرأ هذه الآية ولا نفهم معناها، فالإسلام هنا هو الاستسلام والإذعان لله، ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾، نحن نريد الأجيال القادمة عندها نفس معنى: الاستسلام لله تعالى، ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾، أرنا مناسكنا يعني: عرفنا كيف نطوف وماذا نقول، أرنا مناسكنا نحن يا رب، أنت الذي تعلمنا وترشدنا.

انتبهوا يا جماعة لا أحد يعبد الله على مزاجه وهواه، يعني: بعض النساء الآن يقلن: ألا يجوز في الوضوء المسح على الجورب؟ فنقول لهن: نعم، فيقلن: إذن نمسح على طلاء الأظافر، فنقول لهن: لا يصح، فيقلن: لماذا؟ هذه كتلك!

يا إخواني نحن لا نعبد الله على هوانا ومزاجنا، نحن نعبد الله على مراد الله.

ما أمرنا الله تعالى ورسوله نأخذه وما نهانا عنه ننتهي.

قال تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾، نحن يا رب نعبدك على مرادك، مثل المرأة التي لا تلبس الحجاب وتقول: ما أفعله يكفي، أنت تعبدين الله على مراده أم على مرادك؟ الله سبحانه يريد منا التسليم التام.

بادر بالتوبة:

قال تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾، هل سيدنا إبراهيم وإسماعيل بحاجة إلى التوبة؟

هذه أدعية أساسية وكل مسلم بحاجة إلى أن يدعو بها الله وأن يتقبل الله منه، ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾، يعني: يا رب أنا أريد أن أعبدك عبودية تامة، ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾، اجعلني أعبدك مثلما أنت تريد وعلى مرادك، ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾، تب علي إذا أخطأت في حقك.

التوبة هذه باب الله الأعظم، من دخل منه رضي في الدنيا والآخرة، توبوا يا شباب قبل فوات الأوان.

تعلموا من سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو يبني الكعبة وأثناء البناء يسأل الله التوبة، فما بالك وأنت في شغلك وأنت في الدنيا وأنت في المدرسة وأنت في الكلية؟

يا إخوة، أكثروا من التوبة، النبي ﷺ كان يقول: «**إني لأستغفر الله وأتوب إليه في**

اليوم مائة مرة»[1]، يقول الصحابة: كنا نعد للنبيّ ﷺ في المجلس الواحد أكثر من سبعين مرة استغفار وتوبة، النبيّ كان ما إن يسكت حتى يلهج لسانه بالاستغفار، أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، وبعدها يتكلم مع الصحابة وبعدها يسكت ويقول: أتوب إلى الله، أتوب إلى الله، أتوب إلى الله.

وبهذا تُقبل توبتك:

بالله عليكم هل منكم من لا ذنب له، إذن ماذا نفعل مع الذنب؟ الحل سهل جداً وهو أن تتوب إلى الله بالشروط التالية:

أولا: الندم، أن تندم على اقتراف الذنب تقول لنفسك: أنا أشرب الخمر، أنا مسلم من أحفاد محمد ﷺ وعمر وأشرب الخمر وأتعاطى المخدرات أنا أفعل ذلك؟ إنه الندم الشديد.

ثانياً: توقف عن ارتكاب الذنب، جاء رجل للنبيّ ﷺ وقال: يا رسول الله، أرأيت إن تبت تُغفر ذنوبي؟ قال: «**نعم**»، قال: يا رسول الله، وغدراتي وفجراتي؟ فقال: «**وغدراتك وفجراتك**»، قال: يا رسول الله، وغدراتي وفجراتي؟ قال: «**وغدراتك وفجراتك**»، فانطلق الرجل يبكي ويكبر ويقول: الله أكبر، الله يغفر الغدرات والفجرات[2].

ثالثاً: عدم العودة إلى الذنب، كل ذنوبك يمكن أن تمحى بكلمة: أنا تبت يا رب بشرط الندم والإخلاص.

دعوة مستجابة

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ﴾ [البقرة: 129]، انظر هذه الدعوة دعيت من كم سنة؟ وهو يقصد الرسول ﷺ، تخيل أن سيدنا محمداً لما سئل: يا رسول الله، أخبرنا بأول أمرك؟ فقال: «**أنا دعوة أبي إبراهيم**»[3]، أول أمري ليس اليوم، أنا أول أمري دعوة دعا بها إبراهيم عليه السلام أمام الكعبة منذ آلاف السنين.

يا إخوة، إذا كان الموضوع بهذا الشكل لماذا لا تدعو؟ النبيّ ﷺ يقول: «**إنه من لم**

---

(1) أخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 3815)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 5/ 394).

(2) أخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 4/ 385).

(3) ذكره **القرطبي** في «تفسيره» (2/ 131)، وذكره **السيوطي** في «الدر المنثور» (الحديث: 1/ 139).

يسأل الله يغضب عليه»[1]، الذي لا يدعو الله فالله يغضب عليه، لماذا لا تدعوه؟

ادع يُستجب لك:

ومات سيدنا إبراهيم عليه السلام وماتت أجيال بعده، واستجيبت الدعوة، المشكلة أننا نتعجل، نتعجل الإجابة، يقول النبيّ ﷺ: **«يستجاب لأحدكم ما لم يتعجل»**، فقيل: كيف يتعجل يا رسول الله؟ قال: **«يقول: دعوت فلم يستجب لي»**[2]، فيترك الدعاء فلا يستجاب له، ولو انتظر لاستجيب له، لا تيأس من الدعاء، الحل أن تدعو: يا رب، يا رب، اجعلني أترك هذا الذنب، يا رب، تب علي، وتدعو وتلح على الله، ستجد أن الله أخرج هذا الذنب أو هذه المعصية من قلبك (مثل الشعرة من العجين)، وتتعجب وتقول: كيف خرجت هذه المعصية من قلبي؟ ألست أنت الذي تدعو منذ عشر سنين وتسأل لماذا لم يستجب لنا فوراً؟ **«يستجاب لأحدكم ما لم يتعجل»**.

يا أخوة، اجعلوا الدعاء ملازماً لكم، من واجهت مشكلة مع زوجها قبل أن ترفعي سماعة الهاتف، وتقولي: يا أمي، ادركيني فعل كذا وكذا، ارفعي يديك الى الله أولاً، وقولي: يا رب، أدركني.

عندما كان إبراهيم عليه السلام يبني الكعبة لم يكن ليخطو خطوة إلا وهو يدعو الله فيها، سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما كان يبني الكعبة كان يقول لسيدنا إسماعيل: يا بني، إن الله أمرني أن أبني له بيتاً قال: فاصنع يا أبتي ما أمرك الله به، فقال إبراهيم: وتعينني؟ قال: وأعينك، هذه الجملة جاءت في حديث للبخاري، ما قيمة هذه الجملة التي قلتها: أتعينني قال: أعينك، مهم جداً، سيدنا إبراهيم يحتاج لعونٍ، النبيّ العظيم يحتاج لعون، وأنتم أيضاً، كل منا يحتاج لأخ يعينه على طاعة الله، ولن يكون للإسلام عزة ولا نصر إلا إذا كنت في عون أخيك وأخوك في عونك.

أيهما أولاً: العلم أم التزكية؟

يقول تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: 129]، ستجد في هذه الآية شيئاً عجيباً جداً، الرسول الذي يدعو سيدنا إبراهيم بأن يأتي، لماذا يا سيدنا إبراهيم؟ **أولاً**: ليتلو عليهم آياتك، **ثانياً**: ليعلمهم الكتاب والحكمة، **ثالثاً**: ليزكيهم، إذن سيفعل ثلاثة أمور،

---

(1) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3373)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 3827).

(2) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 6340)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 6870)، وأخرجه **أبو داود** في (الحديث: 1484)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 3853).

وهذا الترتيب يريده سيدنا إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ [البقرة: 151]، ما مهمته؟ ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، سيدنا إبراهيم لما دعا كان في ترتيبه التزكية في المهمة الأخيرة أما الله ﷻ فذكر التزكية في المقام الثاني، ثم في النهاية يعلمهم الكتاب والحكمة، هذه الآية جاءت في القرآن أربع مرات وبنفس النص تكررت في المصحف أربع مرات، ثلاث مرات على قول الله ﷻ، ومرة على لسان سيدنا إبراهيم، المرات الثلاث التي جاءت قولاً من الله ﷻ وضعت التزكية قبل العلم ـ التزكية بمعنى: الأخلاق أو التربية ـ والمرة الوحيدة الذي وضع فيها العلم قبل التزكية كانت على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام، هذا لأن سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يكن يعلم ما هي الأولوية عند الله ﷻ، هل أن تكون عالماً في الدين أم أن تكون أخلاقك حميدة؟ فوضع الله الأخلاق أولاً، ثم العلم ثانياً.

انظروا لقيمة الأخلاق في الإسلام، ***يا شباب، يا فتيات، قبل أن تكون قضيتكم انا أريد أن أتعلم واحفظ حديث وفقه وغيره، عليكم أولاً التحلّي بالأخلاق الحميدة*** أخلاقي هي معاملتي لأبي وأمي، معاملتي لجيراني، يا إخوة، التزكية قبل العلم، التزكية أهم، والخطورة الشديدة أن تتعلم كثيراً وأنت فاقد لسِمَة الأخلاق، فتصبح نموذجاً مشوهاً، افعل الأمرين سوياً، لكن دائماً لو وجدت علمك يزيد على أخلاقك اعلم أن الله غير راض عنك وأنك رتبت غير ترتيب الله تبارك وتعالى.

ولماذا ينسيك الشيطان؟

هذه الدعوة استجيبت بعد كم سنة؟ بعد آلاف السنين، وأنت كم مرة دعوت دعوة واستجيبت هل تذكر؟ اسأل نفسك هل أغلب دعواتي استجيبت أم لا؟ لا نستطيع الإجابة، هل تعلمون لماذا؟ إما أنك تدعو وعندما يحقق الله دعاءك يأتي لك الشيطان بسرعة لينسيك أن ما حدث هو إجابة لدعائك، فيكون حريصاً أن ينسيك أن هذه هي إجابة لدعوتك، أنت فعلاً دعوت آلاف الدعوات التي استجيبت لكن أنت نسيت أنك دعوت، ويمر وقت ويحدث الذي أنت دعوت به وتنسى أن هذه من أثر دعوتك التي دعوتها، إذن لماذا يفعل الشيطان هذا؟ يفعل هذا؛ لأنك لو انتبهت أن دعوتك استجيبت فسيحدث أنك ستدعو دائماً، ثقتك في الله ستكون عظيمة، ستخاف أن تعصي الله؛ لأنك لو عصيته لن يستجاب دعاؤك، إذن بهذا الدعاء أصبحت قريباً من الله، والشيطان يعلم أن هذا القرب في منتهى الخطورة فيصبح الشيطان نشيطاً عليك ويبذل كل جهد لينسيك أن هذا نتاج دعائك، يا ترى هل تستطيع أن تعلم كم دعوة استجيبت لك وكم دعوة لم تستجب؟ لا أحد يستطيع أن يأخذ قراراً إلا

المؤمنين المستيقظين، يقولون لك: نعم أنا أذكر ويربط بين هذا وهذا، أناس كثيرون يربطون، بمعنى: أنه عندما يحدث شيء يقول: هذه بركة الدعوة التي دعوتها. إن في خلق الله شؤون فكن دائم التعلّق.

واكتمل البناء:

اكتمل البناء والبناء كان من غير أسمنت، كان عبارة عن تراب مرصوص فوق بعضه، سيدنا إبراهيم رص التراب فوق بعضه، لكن رصه بشكل عجيب، كان يبحث عن التراب وعن الحجارة المناسبة، مجهود غير طبيعي، يقولون بذل مجهوداً غير عادي في البناء إلى أن تساوى الحجر لكن كانت هناك فتحة على الجنب بين حجرين مفتوحة وكان لا يجد لها حجراً على مقاسها، فقال: يا إسماعيل، ابحث لي عن حجر يناسب هذا المكان، فذهب سيدنا إسماعيل يبحث، وسيدنا إبراهيم عليه السلام يبحث، فعاد الاثنان فإذا بحجر أبيض موضوع بين الحجارة فقال إسماعيل: يا أبتي لم آتِ بحجر، فقال إبراهيم: ذلك حجر نزل به جبريل من الجنة، حجر من أحجار الجنة، انتبهوا إلى أن اليد الوحيدة التي لمست هذا الحجر الأسود ليست يد سيدنا إبراهيم عليه السلام ولا يد سيدنا إسماعيل اليد البشرية، الوحيدة التي لمست الحجر الأسود هي يد النبيّ ﷺ؛ لأن قريشاً حين جددت بناء الكعبة، وضعوا كل الحجارة وبقي الحجر الأسود من سيضعه في مكانه؟ فكل القبائل تنازعت على وضعه، فقالوا: ننتظر أول شخص يدخل علينا الآن ونُحَكِّمه بيننا، فكان أول من دخل هو النبيّ ﷺ فما إن رأوه ـ هذا كان قبل البعثة ـ حتى قالوا: هذا الأمين ارتضيناه، الأمين ارتضيناه، ثم قال النبيّ ﷺ: **«كل قبيلة تمسك بطرف»**، ثم أخذ النبيّ ﷺ الحجر ووضعه مكانه، فشاركت كل القبائل ولكن في النهاية النبيّ ﷺ هو الذي وضع الحجر.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل كان الحجر أبيض أم أسود؟ كان أبيض وصار أسود من ذنوب العباد، لم يتحمل، كان أبيض من الجنة؛ لأن الجنة كلها نقاء فلما نزل الحجر الأصم، الحجر الصلب الجماد الذي لا يحس اهتز من كثرة الذنوب فاسود من ذنوب العباد.

وتجدد العهد:

يوجد شيء أخير خاص بالحجر الأسود وهو حديث جميل جداً للنبيّ ﷺ، يقول النبيّ ﷺ: **«الحجر الأسود يمين الرحمٰن في أرضه يصافح الله به عباده كما يصافح الرجل**

أخاه»[1]، نحن نعلم أن الناس تكون صفوفاً على الحجر الأسود، الناس تقف في صفوف وهم يتنازعون ويتشاجرون وهم لا يدرون لماذا يفعلون ذلك، هل تعلم ما هي قيمة الحجر الأسود؟ يقول النبيّ ﷺ: «**الحجر الأسود يمين الرحمٰن في أرضه يصافح الله به عباده كما يصافح الرجل أخاه**»[2].

اعلم أنك وأنت ذاهب هذه السنة تلمس الحجر الأسود وتمسح عليه بيديك ثم تقبله، هل تعرف ما معنى هذه اللمسة؟ معناها: أنك تعاهد الله تبارك وتعالى على الاستقامة على أمره وطاعته، أرأيت ما الموضوع؟ وكيف أصبح مختلفاً؟ الموضوع يحتاج إلى إعادة ترتيب، يا إخوة، وأنا ذاهب ألمس الحجر الأسود أنظر في يدي، هل تعلم ماذا ستفعل الآن، ستجدد العهد مع الله، تقول له: يا رب، سأعاهدك، سأرجع بعد هذه اللمسة لأبذل حياتي ليسود دينك في الأرض، هل ستذهب وتضع يدك أم لن تذهب؟ اذهب واستعن بالله وستكون أهلاً لها، انظروا يا إخوة، الموضوع أصبح مختلفاً تماماً، ومسألة لمس الحجر الأسود أصبح لها قيمة تجعل يدك ترتعد، هناك أناس تدخل للحجر الأسود بعشرة ريالات، يعني: تدفع عشرة ريالات لتدخل.

من أثر الوقوف:

ارتفع البناء مثلما ذكرت من غير طين ومن غير أسمنت، ووصل البناء إلى قامة إبراهيم، نريد أن نرتفع بالبناء سبعة أذرع فكيف نفعل هذا؟ فقال: يا إسماعيل، ائتني بحجر أقف عليه كي أستكمل، فبدأ يضع طوباً فوق بعضه ليرتفع وليكمل البناء، يقولون: كان يقف على الحجر بالساعات الطويلة يريد أن يتم البناء. فأتمهن، يريد أن يتم البناء بأجمل ما يكون، يبذل كل طاقته، انتبهوا إلى أنه يبني البيت في صحراء! أريدك أن تتخيل سيدنا إبراهيم وهو يبني! كان يبني ويقف بالساعات باهتمام شديد جداً من كثرة وقوفه على الحجر الذي يبني عليه، سبحان الله تركت الأقدام أثراً في الحجر هل منا من يتخيل؟ وهذا الحجر هو مقام إبراهيم: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾، يا إخوة، هناك أناس يظنون أن مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام هو قبر سيدنا إبراهيم عليه السلام، لا هذا خطأ، مقام إبراهيم هو المكان الذي قام فيه إبراهيم ليبني الكعبة، وآثار سيدنا إبراهيم وهو يبني البيت موجودة، انظر ستجد زجاجاً موضوعاً بقالبين من الأقدام، ما هي هذه القوالب؟

---

(1) رواه **العجلوني** في «كشف الخفا» (1/ 417).

(2) تقدم تخريجه سابقاً.

أين أثرك؟

هذه أقدام إبراهيم عليه السلام محفوظة إلى الآن حفظها الله تبارك وتعالى إلى اليوم، ليعرفنا مدى تعب إبراهيم وبذله للإسلام، تعب ليبني لله بيتاً رغم أنه يبني في الصحراء ولن يراه أحد، يا إخوة، ماذا بذلتم أنتم للإسلام؟ قال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾، تخليداً لذلك الرجل إبراهيم عليه السلام الذي بذل الجهد لدرجة أن رجليه ـ أنتم متخيلون المعجزة ـ حفرت في الصحراء من كثرة ما بذل، أنت أين أثرك وماذا بذلت للإسلام؟

إن الإسلام الآن للأسف في حالة ضياع شديدة، لو عملنا للإسلام وعشنا له بعاطفة أبرد من العاطفة التي نشعر بها مع أولادنا، فوالله لن نصل لشيء وسنظل في قاع الأمم ليوم القيامة، تذكر شعار المسلمين في غزوة أحد: «دينك دينك لحمك دمك»، اسمع البراء بن مالك حين وقف في المعركة يقول: بئس حامل القرآن أنا ـ لأنه كان حافظاً القرآن ـ بئس حامل القرآن أنا إذا هزم الإسلام بسببي. اعمل شيئاً، خذ بيد إنسان وإياكم بسبب عاطفتكم الشديدة أن تتشاجروا مع بعضكم، بل استخدموا أرق الوسائل بابتسامة. يا أخي، نحن نريدك بملابسك، نحن نريدك كما أنت، لا تغير من ملابسك ولا تدع الذهاب إلى النادي ولا تبتعد عن كل أصحابك. يا أخي لا تضع بينك وبينهم حواجز بمعنى ألا تبتسم، ولكن العب رياضة وكن شديد الحرص على الإسلام، في إحدى المعارك كان سيدنا المثنى بن حارثة يفتح بلاد فارس، ومعه الجيش الإسلامي، وفي وسط المعركة كان على ميمنة المسلمين قبيلة من قبائل المسلمين اسمها: بنو بكر، لكن الفرس كانوا يهزمون المسلمين من ناحية الميمنة من ناحية بني بكر؛ لأن بنو بكر لم يكن لديهم شجاعة كانوا قاعدين عن نصرة المسلمين، والمسلمون يريدون أن ينتصروا فكلما أوشكوا على هزيمة الفرس انطلق الفرس إلى المسلمين من جهة بني بكر.

احذر أن يؤذى الإسلام من قبلك:

والفرس يدخلون وبنو بكر لا يحاربونهم، أتعرفون ماذا فعل المثنى؟ بعث لهم ورقة فيها: «من المثنى بن حارثة إلى بني بكر لا تفضحوا المسلمين».

يقولون: فجاء النصر من الميمنة فانقلبوا أسوداً.. أنا أفضح الإسلام بأخلاقي السيئة؟ أنا أفضح الإسلام بتكاسلي؟ أنا أكون السبب في فضيحة الإسلام؟ والله أنا خائف أن تكون ذنوبنا هي السبب فيما يحدث للمسلمين، يكون ذنبك أنك في حجرتك مغلق الباب على نفسك، وهذا هو السبب الذي يلحق الكوارث بالمسلمين جيلاً بعد جيل.

ليكن شعارنا الإتقان:

وصل البناء الآن حتى مقام إبراهيم، وهنا نقطة جميلة جداً، هل سيدنا إبراهيم كان يعلم أن هذا البيت سيظل ليشهده آلاف الناس أم لا؟ لا يعلم، ولماذا اهتم ببنائه بهذا الشكل؟

ممكن امرأة تقول: يعني الإفطار الذي سأعده للجيران يوم الاثنين أو الخميس هو الذي سيقيم الإسلام؟ يا إخواني، كان من الممكن أن سيدنا إبراهيم وهو يبني بيتاً في الصحراء يضع الحجارة بأي شكل، لكن لأنه كان مخلصاً ويرجو من الله أن يتقبل منه، أصبح إلى يومنا هذا، إذن اعملي الإفطار بإخلاص، احفظي القرآن بإخلاص، حتى يقلدك الآلاف بعد ذلك وستنالين ثواب هؤلاء الآلاف من بعدك.

يا أختي، لا تستهينوا بأي عمل للإسلام ولو كان صغيراً، لا تقل: هل أنا عندما أكفل يتيماً به يقوم الإسلام؟ ألا تعرف أن الهبل من الحصى، وأن السيل من قطرات الأمطار.

يا إخواني، ابذلوا مجهودكم خدمة لدينكم، خذ بيد أصحابك، كلم الناس في الدين اقعد فكر ماذا أعمل للإسلام والله سيفتح عليك، اليوم تعمل أمراً صغيراً وغداً يكون كبيراً، لكن تظل سعيداً أنك تعمل لدينك فيراك ربك ويعلم أنك صادق فيكبر عملك ويستخدمك ويفتح عليك ويهدي الناس على يديك.

عليك الأذان وعلينا البلاغ:

الآن تم بناء الكعبة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: 27]، فقال: يا رب كيف؟ يا رب أنا واقف في وسط الصحراء، فأين الناس؟ فقال: يا رب وأين يبلغ صوتي، وصوتي يسمع حتى أين؟ فقال الله تبارك وتعالى: يا إبراهيم عليك الأذان وعلينا البلاغ.

يا إخوتي، عليكم بالأذان والله عليه البلاغ، عليك أن تقول لصاحبك: صل لله، إياك أن تشرب الخمر إياك أن تفعل هذا الذنب ثانية، يا ابنتي تحجبي، يا ابنتي أخلاقك، حياؤك ليكن عزيزاً عليك لا تضحكي بصوت عال، أيها الأحبة، عليكم بالأذان وعلى الله البلاغ، ما عليك إلا أن تقول فقط وهو سبحانه يسمع.

اصعد لأعلى جبل:

ووقف سيدنا إبراهيم عليه السلام سمعاً وطاعة لله ليبلغ، بلغوا يا إخوة، بلغوا يا شباب، وقف

سيدنا إبراهيم على أكثر مكان مرتفع ليبلغ منها، انظروا إلى الإخلاص، وكان يمكن له أن يقف في أي مكان، لا أنا أسمع كلام الله، علي أن أبذل أقصى جهدي، فبحث على أكبر جبل عال حتى وجد جبل عرفات، انظروا لمن يبذل بإخلاص كيف يخلد الله ذكراه ويخلد عمله، فوقف على جبل عرفات وبأعلى صوته قال: أيها الناس، ***ان الله كتب عليكم الحج فحجوا***، لنأتي نحن بعد آلاف السنين ونقول: ***لبيك اللهم لبيك***، وصل الأذان أم لا؟ عرفتم لماذا نقول: لبيك اللهمّ لبيك، سمعاً وطاعة، سمعنا الدعوة يا رب وها نحن بين يديك، قبل أن نصل للكعبة ونحن ذاهبون نقول: لبيك اللهمّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك.

كم مرة بنيت الكعبة؟

إن الكعبة قد تهدمت وبنيت خمس مرات، **البناء الأول**: على يد سيدنا آدم عليه السلام ثم هدمت، **البناء الثاني** لها: على يد سيدنا إبراهيم عليه السلام، **البناء الثالث** لها: بناء قريش قبل بعثة النبيّ ﷺ، وبعدها هدمت الكعبة، فقامت قريش وشارك النبيّ ﷺ أيضاً وهو الذي وضع الحجر الأسود، وقريش الكفار كانوا يعبدون الأصنام حين بنوا الكعبة قالوا لأنفسهم: إياكم أن تضعوا في بيت الله درهماً من حرام، فلا تضعوا إلا صالح أموالكم، تخيلوا أن عباد الأصنام يفهمون أن هناك مالاً حلالاً ومالاً حراماً، ومنا أناس لا يبالون بمالهم إذا كان حلالاً أو حراماً.

قصة حجر إسماعيل:

جانب الكعبة يوجد حجر إسماعيل، وهو جزء من الكعبة، سيدنا إبراهيم عندما بنى الكعبة كان داخلها حجر إسماعيل، لكن قريشاً لم تكف أموالهم للبناء للشرط الذي اشترطوه فتركوها ولكنها جزء من الكعبة، ومن يطوف لا يدخل فيها بل يدور حولها، الكفار كانوا حريصين على تحري المال الحلال في بناء الكعبة، فما بالكم بمن يؤكل عياله من مال حرام، «**كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به**»[1]، ولذلك يا إخوة مقام إسماعيل جزء من الكعبة، ومن رحمة الله أنه ﷻ جعل لنا جزءاً من الكعبة نصلي بداخله، في حجر إسماعيل، فيا سبحان الله على كرم الله تبارك وتعالى.

لاحظوا أنه بين الحجر الأسود وباب الكعبة مسافة تحتمل وقوف شخصين بالضبط حوالي متر أو متر ونصف، عندما يقترب منها النبيّ ﷺ يلصق بطنه الشريف في الكعبة،

(1) ذكره **الزبيدي** في «إتحاف السادة المتقين» (5/ 226).

لذلك تجد كل الكعبة مكسوة ما عدا هذا المكان الذي يسمى: بالملتزم، يلصق بطنه في الكعبة ويرفع يديه الاثنتين ويفتحهما، ويضع خده اليمين على الكعبة، تخيل هذه الوقفة المليئة بالخضوع والذلة، لنتعلم الذل لله، ويقف النبيّ ليدعو، سيدنا عمر بن الخطاب لما رأى النبيّ ذليلاً لله بكى، فقال النبي: «**نعم يا عمر ابكِ، هاهنا تُسكب العَبَرات**»[1]، إن لم تبكِ في هذا المكان فأين تبكي؟

يا إخوة، أوصيكم بالدعاء عند الملتزم، الملتزم ليس باب الكعبة، الملتزم ما بين باب الكعبة والحجر الأسود.

ولكن ليطمئن قلبي:

آخر نقطة في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في سورة «البقرة»: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: 260]، ما القصة؟

لاحظوا أنه يقول: رب أرني، إذن هو يريد رؤية العين، وهو قد رأى بالقلب، ولكنه يريد رؤية العين ليطمئن قلبه على ماذا؟ أليس هو الذي قال الله له: إني قد اتخذتك خليلاً، فهو يريد أن يحس أنه فعلاً خليل الرحمٰن، فيا رب، أصبحت قريباً جداً فأرني قدرتك بالعين حتى أطمئن.

بين علم اليقين وعين اليقين:

الحقيقة حتى نفهم هذه الجزئية لا بد أن نعرف أن هناك فرقاً بين أمرين: أمر اسمه: علم اليقين وأمر اسمه: عين اليقين، ما الفرق بين الاثنين؟

علم اليقين: هو الأصل فينا، أنك تعرف أن الله موجود وأن هناك جنة وأن هناك ناراً، هذا هو علم اليقين، أما عين اليقين: فهو منحة من الله، لمن وصل لقِمّة علم اليقين، فإن الله يفتح عليه ويكشف له ما يشبه عين اليقين، وهذه منزلة لا تكون إلا للأنبياء، لا تمنح عين اليقين إلا لمن وصل لقمة علم اليقين، وربنا هو العالم بعباده، إبراهيم عليه السلام لم يطلب عين اليقين إلا لما استكمل علم اليقين، ولذلك جاءت هذه القصة في آخر حياة إبراهيم.

يا إخوة، هذا هو إبراهيم الذي رمي في النار، وذهب ليذبح ابنه كيف تظنون أنه غير

---

(1) أخرجه **الحاكم** في «المستدرك» (الحديث: 1/ 624)، وأخرجه **البيهقي** في «شعب الإيمان» (الحديث: 3/ 456)، وذكره **ابن خزيمة** في «صحيحه» (الحديث: 4/ 212).

مصدق بقدرة الله، ولذلك سيدنا عمر بن الخطاب بمناسبة علم اليقين له كلمة جميلة جداً حيث يقول: والله لو انشقت السماء فرأيت الجنة ورأيت النار ما ازددت بهما يقيناً، ولذلك النبيّ ﷺ دخل الجنة في رحلة الإسراء والمعراج وكان ما رآه النبيّ طيلة العشر سنين تربية على علم اليقين، فلما استكمل النبيّ علم اليقين كانت رحلة الإسراء والمعراج، ولذلك النبيّ ﷺ يقول: «**دخلت الجنة فأكلت من ثمارها وشربت من أنهارها**».

وكان ذلك بعد عشر سنين من العناء في مكة، وهذه منزلة محالة علينا.

دخل الجنة وهو في الدنيا!

كان النبيّ ﷺ جالساً وسط الصحابة فقال: «**من منكم دخل الجنة؟**» تخيلوا كل الصحابة سكتوا، فقام سيدنا عبد الله بن عمر ورفع يده وقال: أنا يا رسول الله، يقول عمر بن الخطاب ﷺ: فوضعت يدي على رأسي، فضحني ابني، فقال النبيّ: «**من منكم شرب من أنهار الجنة؟**» فعبد الله بن عمر قام ورفع يده وقال: أنا يا رسول الله، يقول عمر: فهممت أن أضع يدي على فمه ليسكت، فقال النبيّ ﷺ: «**من منكم أكل من ثمار الجنة؟**» فقال عبد الله بن عمر: أنا يا رسول الله، فالصحابة بدؤوا ينظرون لعبد الله بن عمر، يقول عمر: فهممت أن أترك المجلس وأقوم، والصحابة ينظرون لعبد الله بن عمر ما هذا الذي يقوله فقال النبيّ ﷺ: «**يا عبد الله، بارك الله فيك أخبرهم، قل لهم ما تقصده**»، فقال: يا رسول الله دخلت الجنة بدخولك إياها ـ هذا هو علم اليقين ـ وشربت من أنهار الجنة بشربك أنت منها ـ طعمها في فمي كأني أنا الشارب ـ وأكلت من ثمار الجنة بأكلك أنت منها حتى أجد طعم الفاكهة في حلقي.

يقين مشاهد:

فماذا قال الله لسيدنا إبراهيم ﷺ قال: فخذ أربعة من الطير، هات أربعة طيور فصرهن إليك، اذبحها، واجعل رؤوسها على جنبك، وأمسك بقية الطيور، وقطعها وأزل ريشها واخلط الريش في العظم في الدم، وهات هذا مكان الآخر، وهكذا وفتتهم وقسمهم على أربعة أجزاء، واطلع على كل جبل: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾، قل لهم تعالوا: ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾.

ستجد ريشة على جبل تجري على نقطة الدم من جبل آخر، وقطعة عظم تجري من جبل إلى جبل، وكله يتحرك ويطير من غير رؤوس، سيأتي كل طائر عند رأسه ليأخذ الرأس

وينطلق، سبحان الخالق العظيم، سبحان الذي أبدع السمٰوات والأرض: ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

تعلَّق بالله دائماً:

يا إخوة، تعلقوا بالله، هذه الآية تجعلك تقول: أنا ملك لله، ليس لي في الدنيا إلا هو، ولكن انتبه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]، الذي فعل ذلك مع الطير قادر أن يرجع المسجد الأقصى للمسلمين أم لا؟ الذي فعل ذلك مع الطير قادر أن يحسن علاقتك بزوجك أم لا؟ قادر أن يهدي ابنك العاصي أم لا؟ قادر أن يوسع عليك رزقك أم لا؟ تعلقوا يا إخواني بالله سبحانه وتعالى.

وصية إبراهيم لأمة محمد:

ماتت سارة ثم مات إبراهيم وقد بلغ من العمر حوالي مائة وخمسة وثمانين سنة، سيدنا إسحاق وسيدنا إسماعيل دفنوه في مدينة الخليل في فلسطين، هذه قصة حياته: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: 120]، عرفتم لماذا يا إخواني، أول من يكسى يوم القيامة هو إبراهيم عليه السلام، النبيّ ﷺ قابله في رحلة الإسراء والمعراج في السماء السابعة عند البيت المعمور فقال له: «يا محمد أقرأ أمتك مني السلام ـ سيدنا إبراهيم يسلم علينا يا إخواني، النبيّ الوحيد الذي بعث لنا السلام هو سيدنا إبراهيم ـ وقل لهم ما وصيتك لنا يا سيدنا إبراهيم؟ ـ وقل لهم: إن الجنة طيبة التربة عذبة، وإن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر» قلها واغرس نخلاً في الجنة، نسأل الله تبارك وتعالى أن يجمعنا مع سيدنا إبراهيم عليه السلام ومع رسول الله ﷺ في الجنة.